جامعة الوصل
ALWASL UNIVERSITY

جامعة الوصل
AL WASL UNIVERSITY

كتاب

مؤتمر الدراسات العليا والبحث العلمي

والموسوم بـ

(قراءة النص- الإشكاليات والمناهج)

جامعة الوصل – الإمارات العربية المتحدة

2021 م

جامعة الوصل
AL WASL UNIVERSITY

كتاب

مؤتمر الدراسات العليا والبحث العلمي

والموسوم بـ

قراءة النص – الإشكاليات والمناهج

جامعة الوصل - الإمارات العربية المتحدة

2021

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على من المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آهله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد.

فإن هذا الكتاب ثمرة يانعة، ونتاج قيِّم لما قُدِّم من بحوث، إلى المؤتمر الدولي الثاني للدراسات العليا الذي عُقد في جامعة الوصل بدبيّ يومي (25-24) من شهر نوفمبر لعام 2021م، وقد حمل عنوان (قراءة النص - الإشكاليات والمناهج)؛ حيث شرع هذا العنوان الباب على مصراعيه لطرح كثير من القضايا المحورية والمفاهيم الشائكة ذات الصلة بقراءة النص، في إطار محاور ثلاثة: أولها- النص بين المصطلح والمفهوم، وثانيها- قراءة النص بين التراث والمعاصرة، وثالثها- جدلية العلاقة بين النص وفهمه.

وبعد تحكيم الأبحاث المقدمة تم اختيار تسعة وعشرين بحثًا يعالجون قراءة النص من وجهتيه النظرية والتطبيقية، مع اتساع رقعة التطبيق لتشمل الأنماط المختلفة للنص: اللغوية، والشرعية، والاجتماعية، والإعلامية.

وكانت البحوث المختارة خير شاهد على ما اتسم به المشاركون من اختلاف في الثقافات، والبيئات، والمؤسسات المنتمين إليها، إلا أن جامعهم الأكبر ما تمتعوا به من خبرات عريضة، ورؤى متجددة، ومشاركات فاعلة.

وأما عن منهج ترتيب البحوث في هذا الكتاب فقد حاولنا أن نراعي فيها أولية التقديم، وفق الترتيب الزمني لجلسات المؤتمر، بغض النظر عن طبيعة النص أو نوع الخطاب الذي تناوله البحث؛ ذلك بعد أن قامت لجنة معنية بإعادة مراجعة وتدقيق تلك البحوث. وقد أفردنا باحثي (سمينار الوصل)، وهم طلاب الدراسات العليا الذين كان المؤتمر يرمي إلى أن يستفيدوا من زملائهم الباحثين في كل أرجاء المعمورة- أفردنا لهم قسمًا خاصًّا هو (سمينار الوصل).

ويسعدنا في هذا الصدد أن نسوق أبلغ معاني الشكر والتقدير لمعالي جمعة الماجد رئيس مجلس أمناء جامعة الوصل، لما أحاط به المؤتمر من رعاية كريمة، ولسعادة مدير الجامعة أ.د. محمد أحمد عبد الرحمن لدعمه الحثيث، ومتابعته المتواصلة، وتوجيهاته السديدة.

كما نقدم جزيل الشكر والتقدير إلى نيابة البحث العلمي واللجان العلمية، والتنظيمية، والتحكيمية، التي أسهمت في نجاح هذا المؤتمر، سائلين الله -تعالى- المزيد من الرقي والتقدم، والرفعة.

د. إبراهيم ربابعة

الرئيس التنفيذي للمؤتمر الدولي الثاني للبحث العلمي

أبحاث

سمينار الوصل

علاقة النظام النحوي بلغة الشعر

المتنبي نموذجًا

أ. سمية أحمد سالم السويدي

جامعة الوصل

ملخّص

لقد حوى هذا البحث في مدخله النظري على كيفية نشأة النظام النحوي وأسبابه، وبيّن فكر النحاة المؤسسين لهذا النظام، وعلاقته بلغة الشعر، ومنهج هؤلاء النحاة بين الظاهرة النحوية والنظرية، ومنهجهم في ربط النحو بالمعنى؛ وبرزت لنا مشكلة البحث وأهميته في معرفة ماهية هذه العلاقة؛ من خلال طرح تساؤلات عدة، ومنها: ما علاقة النظام النحوي بلغة الشعر؟ وما أثر ضوابط النحو وقوانينه في لغة الشعر؟، وهل العلاقة بينهما علاقة توافقية أم غير ذلك؟؛ وما الوسائل أو الآليات التي استعملها الشعراء في لغة شعرهم؟، وكيف تآزرت لغة الشعر من خلال التراكيب اللغوية المختارة مع المعاني النحوية، فوصل المنجز الشعري إلى لغة متفوقة تحت سيطرة النظام النحوي وضوابطه؟

فكان هدف الدراسة إيجاد حقيقة هذه العلاقة، وتبرير تفوق لغة الشعر في ظل قوانين نحوية وضوابط حاكمة للغته، ونحن معنيون في هذا البحث بنظام التركيب اللغوي للمفردات، وغايتنا الوقوف على أثر هذه التراكيب النحوية في قراءة النص الشعري، ومدى فاعلية النظام في لغة الشعر بالمنهج الاستقرائي في تحديد الإشكالية محل البحث، ومن ثم العروج إلى تحليل مادة مختارة للتطبيق عليها واختبارها، ولقد اخترنا من قصائد المتنبي قصيدة «واحر قلباه»، ومن التراكيب اللغوية اخترنا آليات محددة وهي: التقديم والتأخير، الحذف والتقدير، والعدول في الضمائر والأزمنة والإسناد فقط، وتخيرنا البعض منها؛ لكي لا تتشعب طرقنا، وتطول دراستنا؛ فنرى مدى توافقها في قنوات تتوازى مع المنطوق اللغوي الموروث، وتتواءم مع نظام اللسان، بما عرف عن اللغة العربية من مرونة في الاستعمال وقدرة على الاتساع.

وجاء عنوان دراستنا على إثر هذه التساؤلات «علاقة النظام النحوي بلغة الشعر- المتنبي نموذجا»، وتفرعت هذه الدراسة إلى فصلين الأول: «النظام النحوي نشأته وعلاقته بلغة الشعر»، الذي جاء في ثلاثة مباحث؛ اشتمل المبحث الأول على: نشأة النظام النحوي؛ منهجه ونظريته؛ واندرج تحته تقسيمين هما:

أولا: المنطلقات الموجِهة إلى نشأة علم النحو.

وثانيا: مفهوم «علم النحو» بين الظاهرة النحوية والنظرية.

أما المبحث الثاني تناول علاقة لغة الشعر بالنظام النحوي.

على حين تناول المبحث الثالث منهج النحاة الأوائل في التفاعل النحوي الدلالي، وجاء الجانب التطبيقي في الفصل الثاني بعنوان: أثر فاعلية النظام النحوي في لغة الشعر عند المتنبي؛ في ثلاثة مباحث، وتناول المبحث الأول: أثر التقديم والتأخير في معاني لغة الشعر.

أما المبحث الثاني فتناول: أثر الحذف والتقدير في معاني لغة الشعر.

وجاء المبحث الثالث حول: أثر العدول على معاني لغة الشعر في استعمال الضمائر (المتكلم والخطاب والغيبة) و(العدد)، وزمن (الفعل) ثم (العدول الإسنادي).

وعلى هذا النحو تتبعت الدراسة دور آليات النظام النحوي في كشف مقاصد النص الشعري من الجانب التركيبي للغة، ومدى فاعلية النظام في تقبل تقنيات التوسّع والعدول عن النماذج الأصلية، إلى أوجه أخرى للتراكيب بما تحمله من معاني نحوية، بعيدا عن الوصف المجرد للظواهر، نحو بيان ما تحتمله الوجوه الممكنة لهذه التراكيب من دلالات، وما يترتب على هذا النظام النحوي من كونه متوافقا مع هذه الأوجه، وحاكمًا على جودة هذا المنجز اللغوي.

ولقد اخترنا ورقة المؤتمر الدولي للغة العربية- قراءة نص، من الفصل الأول من المبحث الأول المنطلقات الموجِهة إلى نشأة علم النحو والمبحث الثاني من الفصل الأول في علاقة لغة الشعر بالنظام النحوي فقط لمحدودية وقت العرض؛ واختُتِم البحث بخاتمة بيّنا فيها خلاصة ما توصلنا إليه في نقاط محددة، وبعض التوصيات والمراجع، وفهرس الموضوعات.

الفصل الأول: النظام النحوي نشأته وعلاقته بلغة الشعر

توطئة:

إن اللغة ظاهرة إنسانية، تزامنت مع الفرد ونمت بنموه، فهي منطق فكره ونظام لسانه وبيان لمعانيه؛ فاللغة مفتاح التواصل وباب الإخبار ومنبع الأفكار، ولا بد من حدود وأسس تقوم عليها أي لغة ناشطة ومنتشرة، وأن هذه الحدود حتمًا ترتبط بالإفهام والوضوح؛ بأسلوب ما تنتهجه الألفاظ والجمل والتراكيب، والطريقة التي تبين فيه الكلمات عن معانيها عندما تتناسل مع مثيلاتها، وتكشف ما بالعقول عن بنات أفكارها وخواطرها، وكان لا بد من نظام يدير هذه اللغة، ويرسي قواعدها، ويحكم العلاقات بين مفرداتها

وجملها وتراكيبها، وبديهيا فإن هذا النظام هو علم النحو، الأداة الحاكمة الضابطة لمناحي الكلام في جميع اللغات، وبالأخص في اللغة العربية.

أكَّد أغلب الباحثين أنَّ النَّحو العربي علمٌ طلبه أهل اللغة في وقت عصيب طلبًا حثيثًا، لشدة حاجتهم في وضع ركائز، وأساسيات ثابتة، تزمُّ اللغة العربية وتلمُّها عن الانجراف أمام سيل اللهجات واللغات، التي بدأت تتوافد على اللسان العربي، وتؤثر في نظام لغة أهله إبَّان اتساع الرقعة الإسلامية، لذا استنصر أهل العلم والفراسة اللغوية للعربية؛ فاستُنبط علم النحو من «استقراء سمت كلام العرب»[1]، على وجهٍ يليق بمكانته الرفيعة بين علوم اللغة، وذلك خدمة لكتاب الله عزَّ وجلَّ، وكلام نبيه المرسل محمد صلى الله عليه وسلم.

ولكن ما طبيعة هذا النظام الذي أنتج هذا المشترك اللغوي، الذي ساد بين القبائل العربية، وكيف نشأت قوانينه وأحكامه؛ التي امتثل لها لسان أهلها في منجزاتهم الشعرية والنثرية؟

المبحث الأول: نشأة النظام النحوي؛ منهجه ونظريته

أولا: المنطلقات الموجِهة إلى نشأة علم النحو

لكل علم نظامه وطريقته ومنهجه، فلا يرتقي علم إلا على هيكل قوي، وأساس متين تحكم عناصره نظرية محكمة؛ فيدور في فلكها دون تصادم، وذلك مثل أي نظام، أشبه بأنظمة هذا الكون وفضائه الواسع، ويعدّ علم النحو النظام الذي يضبط مناحي الخطاب، وهو الذي يربط المفردة بما يجاورها، ويعلل أواخر الكلم، ويفسر الإحالات، ويقدر المحذوف، ويؤول المقصود، ويدلل على المرغوب من المعاني الواقعة في نفس المُلقي للتفاعل مع المتلقي؛ وإلا ما وصل إلينا علم النحو اليوم بهذا الهيكل المتين، وما استمر إلى يومنا بهذا الثبات في انضباط الأحكام، وثبات المفاهيم ووضوح المنهج، ومدونات الكتب التي وصلت لنا تثبت ذلك، ومن المعروف أن لكل علم منشَأَه ونواته التي أوقدت شعلته؛ فما الذي دعا إلى نشأة علم النحو؟، بعد أن كان متخفيًّا ذهنيًّا في ترتيب حديث الضمير عقلًا، والصوت الذهني الكامن في الفكر بين طيَّات اللسان ونظامه؟.

1- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1952، ج1/34

فهناك من قال عن هذا العلم -علم النحو- أنه علم «معياري» يحتمل الخطأ والصواب، على حد قول بعضهم إن لم يكن الأغلب؛ جاء في وصف الفارابي له بأن: «النحو عيار اللسان فيما يمكن أن يغلط فيه اللسان من العبارة»[1]، ولعله يقصد أنه يحيل إلى كونه ميزان دقيق لاستيعاب التراكيب وفهم المناهج، ومحك للفكر الذي يقوم عليه أي علم!؛ ولكن إذا مّحصنا هذه المسألة؛ سنجد أن هناك غبْنًا في تحديد مفهوم النحو في هذا الحيز الضيق، وخصوصا ممن كان لهم السبق في تأسيسه ونشأته- وسنأتي على مفهوم علم النحو عند النحاة الأوائل ولكن بعد أن نستوفي المبررات الداعية لنشأته- فلقد كان منهجهم يقوم على جمع اللغة واستقرائها، ووصف ما تحتوي من ظواهر، ولم يضيِّقوا واسعًا في مفهومه ولا حده، ويرى «الجرجاني» أن الألفاظ معلَّقة عن معانيها، حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها؛ فهو المعيار الذي لا يتبين نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه»[2]؛ ومن هذا الاختلاف في مفهوم علم النحو نرى أهمية دراسة تأصيلية تنقب في نشأة هذا النظام الوازن للمنجز الفكري، ولطريقة منهجه الذي يسير عليه.

وإذا تتبعنا نشأة علم النحو؛ نجد أنه علم ترعرع بداهة على ذات المنطلقات، التي سرنا عليها حتى اليوم في تعلم أي علم إنساني اجتماعي، وستدلُّنا هذه المنطلقات على قراءة المعالم الكلية للفكر النحوي، وقوفًا على بعض الخصائص العامة التي ميَّزت النحو، وصنعت له نظامًا مطردا وواضحا، ونعني بالمنطلقات: المبادئ الموجِّهة لتفكير النحاة في صناعة علم النحو؛ فيما لمسوه من ظواهر لسانية عربية، تسهِّل عليهم عملية وضع القاعدة بحسب شروط مُسَلَّمٍ بها، وعلى طريقتها تأسست النظرية النحوية العربية[3].

وترتكز هذه المنطلقات على ثلاثة محاور: منطلقات فكرية، وضوابط منهجية، وضوابط نظرية، ولأن الفكر اللغوي العربي يخضع في جملته لمنطلقات فكرية يتحكم فيها: نزول القرآن العظيم باللسان العربي؛ فإن المنطلقات الفكرية بالذات تدور حول ثلاثة عناصر رئيسة، أولها: عنصر «الفهم والإفهام»: فالمتتبع لكلام العرب، يلاحظ أن التفكير النحوي لدى علمائنا الأوائل ذو مركزية واحدة، تتجه نحو تقنية الفهم والإفهام لكلام الله تعالى؛ لذا

1- الفارابي، أبي نصر محمد، المنطق عند الفارابي، المحقق رفيق العجم، ط 1985، دار المشرق - بيروت، ج1، ص 56-55

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق وشرح: عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ط الأولى، 1969، ص43

3- محمد عبد الفتاح الخطيب، ضوابط الفكر النحوي، ص157

جاءت عناية الدرس النحوي بقضايا اللفظ والمعنى، ووصف العلاقات التركيبية في نظام الجملة، وحركة تلك الكلمات في التراكيب والجمل، من حيث الاستقامة بالذكر والحذف والرتبة والارتباط العاملي، وانقطاعه بين الكلام، فمحَّص العلماء الأوائل في وجوه نص القرآن، من خلال ضبط مجارٍ تناسب ائتلاف الكلام، حسب «سمت كلام العرب»، فما قام به أهل العلوم قديمًا موجّهٌ لفهم كلام الله تعالى، وإفهامه للآخرين عن طريق ضبطٍ وتقعيدٍ وتقنينٍ للأسس اللغوية المستقرأة من النص القرآني، واعتمدوا على اطّراد الظاهرة قياسًا؛ فيقيسون أشكال الكلام بالكلام، ويلحقون الأشباه بالأشباه، والنظائر بما يحاكيها، ولقد سمَّاها ابن خلدون «صناعة العربية»، فقال: «عندما خشي أهل العلوم أن تفسد ملكة السمع، فيُنطق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة؛ فكانت صناعة العربية على يد الخليل بن أحمد»[1]، والخليل هو من وضع حجر الأساس لعلم النحو بنظرية افتراضية؛ ولكن تأثيرها يعد ملحوظًا وملفوظًا؛ وأسماها «بالعامل»؛ وهي النظرية القائمة على أساس التعبير عن العلاقات بين أجزاء التركيب اللغوي، والترابط الموجود بين عناصر كل جملة وأخرى، والعامل مفردة مؤثرة فيما بعدها؛ لذا تنشأ العلاقات بين المفردات نتيجة لقوة تأثيرها، ولأن الله تعالى قد خاطب العرب في قرآنه بلغتهم على سنن كلامهم، اتسعت الدائرة؛ فشملت اللسان العربي كله شعرًا ونثرًا؛ فأصبح النظام النحوي يحتوي على رؤية شاملة لتحليل مختلف الخطابات باختلاف الأغراض والموضوعات، ونظرية العامل ليس لها دليل ملموس في نظام اللغة إلا من خلال ترابط المفردات وتعالقها ووضوح المعنى المقصود بهذه العلاقات.

ومن خلال الوظيفة المحورية لعنصر الفهم والإفهام؛ تتضح تفاصيل مهمة أخرى تتبع هذه الوظيفة، أولًا: مكانة المفردة في الجملة، وما يسمى الإعراب في الدرس النحوي؛ فالإعراب كما ورد عن ابن جني هو: «الإبانة من المعاني بالألفاظ»[2]، وهو العلاقة والربط والنسب بين الكلمات في الجملة الواحدة، وهو العنصر الدقيق؛ وتعتمد عليه كتب التفسير لاستخراج مراد قول الله تعالى؛ وهنا مفصل القول بين من ارتكز على قرينة الحركة الإعرابية، ومن أهملها لوجود قرائن أخرى تدل على المعنى، وسنأتي على هذه الفكرة لاحقًا.

وثانيها: الاعتراف بأهمية علم النحو بين علوم العربية كلها؛ فهو ما يسنُّ التخاطب بين العرب، ويحدد العلاقة ويضبطها بين اللفظ والمعنى في الخطاب الشرعي، وقواعد الفقه في

1- خليل أحمد عمايرة، كتاب المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، عمان، ط1، ص7

2- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج1، ص 35

فهم النص، وضبط الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحرم، وستجد التفاسير مكتنزة بالروايات عن أقوال النحاة؛ من أمثال سيبويه والأخفش والكسائي والفراء وغيرهم.

وثالثها: اتضح أن النحو بعد كل هذا؛ نحو بيان المعنى وتبيينه، وهو الملازم حتمًا لفهم مصقول الكلام، ابتداء من المعلقات إلى يومنا هذا؛ فهو البداية والمتمم لفهم «لغة الشعر»[1]، ومن خلال ضبطه وتحديده للمعنى، وتأسيسه لشبكة العلاقات بين المفردات داخل الجملة من ناحية، ومن ناحية أخرى يتميز بدور محوري وفعَّال في إدارة العلاقات بين الجمل؛ فالنحو إذن هو الذي يحدد السلوك اللغوي في بناء الأسلوب وهندسة العبارة[2]!؛ فإذا خطط المؤلف واختار من الألفاظ حسب علمه ورتبها، وحذف منها ما يقتضيه المقام والسياق، على ألَّا يتوه منه المعنى، وعلَّقها ببعضها بالأسلوب الذي يراه منسجمًا مع المقاصد والأغراض؛ فهو قد هنْدَس عبارته، وجاء باختياره الخاص، وما يعبر عن ذوقه، وما يعكس عاطفته، مختلفًا عن غيره متميزًا بأسلوبه؛ فيستقبله الخاصَّة والعامَّة ليقيِّموا مؤلَّفه، ويتأثروا بعاطفته فيقتبسون منها لاستحسانهم لها، ويعلقون على منجزه نقدا وتحليلا، ويستطيعون تمييز المؤَلف من نهج أسلوبه ومعجم مفرداته.

أما العنصر الثاني للمنطلق الفكري فهو: «نظام اللغة»[3]، يقول الجاحظ في موضوع بديهة العربي: «وكل شيء للعرب إنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام فتأتيه المعاني إرسالًا، وتنثال عليه الألفاظ انثيالًا»[4]، والنظام اللغوي هو اللسان الناطق بلغة تمْتَثِل إلى أحكام وقوانين حسب البيئة التي ينتمي لها هذا اللسان، فلا يرتجل إلا بوحي فكره المحتكم إلى ضوابط لسانه، ويقول ابن جني: «واعلم فيما بعد؛ أنني على تقادم الوقت، دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع؛ فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي، مختلقة جهات التغول على فكري، وذلك أنني تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرعاف والرقة، ما يملك جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر... إلى أن قال[5]: فقَوِي في نفسي اعتقاد كونها توفيقًا من الله - سبحانه - وأنها

1- عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر 2012، ص 13
2- محمد عبد الفتاح الخطيب، ضوابط الفكر النحوي، ص158
3- المرجع السابق ص170
4- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، 3/28
5- ابن جني، الخصائص، 1/48

وحي»؛ واختلف القدماء حول توفيقية اللغة وتوقيفها كثيرًا، ولن نختلف أو نتفق معهم؛ ولكن نستدل من هذا الخلاف على مميزات اللغة العربية التي أُحكم نظامها وتوافق انسياب معانيها مع هذا النظام، ورغم تعريف ابن جني للغة في مطلع خصائصه بأنها: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»، وهو أكثر تعريف استشهد به العلماء لمصداقيته؛ إلا أنّ العرب لم يعبروا عن أغراضهم من أجل التعبير عن احتياجاتهم اليومية وحسب؛ بل تفننوا في استعمالها وتميزوا بفصاحة وبيان منجزها، وتسابقوا في نظم لغة شعرها، وتنافسوا بأجود إنجازاتهم الشعرية؛ فتجاوزوا عن احتياجاتهم المادية والفيسيولوجية إلى احتياجات معنوية، حفَّزت فيهم الإبداع وتقدير القول والفخر بالذات، واستعملوا اللغة استعمالًا غير مألوف، ميزهم عن غيرهم، وهذا في علم النفس يتماشى مع منطق نظرية[1] «هرم ماسلو»، الذي يبدأ باحتياجات الشخص الجسدية والمادية وينتهي إلى الحاجات المعنوية، وقد يبقى في نفس المستوى حسب قدراته؛ ولكن العرب فُطروا على التباهي والتفاخر وطمحوا للأفضل، وبحثوا عن التميز فأبدعوا في استعمال نظام لغتهم، ونالوا العزة والبقاء لموروثهم، واستقطبوا التقدير لأنفسهم، وجذبوه لقبائلهم؛ فوُصِموا بأشعَرِهم وأفحصهم وأحكمهم.

ومما تقدم تبين أن نحاتنا أكدوا فكرة «نظام اللغة» من وجهة نظر أنها تعبير عن التجانس وبلوغ أقصى غاياته في فترة تناسب معها نزول القرآن الكريم، فالقرآن هو حجر الأساس للسان العربي والحافظ له، فقد هيأ الله عز وجل اللغة العربية، بنظام لسان أهل الجزيرة عمقًا وانبساطًا لنزول الوحي، حتى يعبر عن هذا التجانس والكمال، ولعل هذا ما دفع الكثير منهم إلى القول بالتوقيف الإلهي لهذا اللسان العربي المبين، أو لعل الأمر لا يخلو من ذلك، بمعنى أن الله جلَّت حكمته قد هيأ للغة أجيالًا متلاحقة ذات قوى مكينة ومتمكنة، هم ألطف لسانًا وأنقى أذهانًا، وأسرع خواطر وأجرأ جنانًا وأعذب بيانًا، وإن هذه الأجيال تواكبت على هذا اللسان؛ فأنضجته وآتت اللغة العربية أُكُلها شهرة وانتشًارا.

1- هرم ماسلو (نظرية التحفيز الإنساني) هي نظرية نفسية ابتكرها العالم أبراهام ماسلو وتناقش هذه النظرية ترتيب حاجات الإنسان إذ يرى فيها أن الناس عندما يحققون احتياجاتهم الأساسية يسعون إلى تحقيق احتياجات ذات مستويات أعلى فيصلون لتحقيق الذات وتقديرها.. وتتلخص هذه النظرية: باستشعار الفرد لاحتياجات معينة تدفعه لأن يبحث عما يمكن أن يتكيف به في محيط بيئته، وهذا الاحتياج يؤثر على سلوكه، فالحاجات غير المشبعة تسبب توترًا لدى الفرد فيسعى للبحث عن إشباع لهذه الحاجات.

لذا عامل اللغويون الأوائل اللغة في طريقة جمعها بدقة بالغة؛ وقد ترك ذلك أثرًا عميقًا في النظام النحوي، بأن هناك حكمة وراء كل أصل من أصول هذا اللسان الشريف، ليعبرَ عن هذا التجانس في مجتمع يرتكز على نظام لغوي متجانس أيضا، يعرف لغته معرفة كاملة، فعاملوا اللغةَ بشيءٍ من الحذر والأناة في الشرح والدراسة؛ وأن من أثر هذا التجانس أن «ابن جني» يصرُّ على بيان؛ أن العرب كانوا يدركون الحكمة التي بنيت عليها لغتهم، يستوي في ذلك عالمهم وجاهلهم، فلا وجود للعبث في بناء اللغة، ففي كتابه» المنصف توضيح لمجيء كلام العرب على هذا النحو، وهو في هذا متأثر بالمازني: «قال أبو عثمان واعلم أن العرب يحذفون الشيء؛ وفي كلامهم ما هو أثقل منه، ويستثقلون الشيء؛ وفي كلامهم ما هو أثقل منه مما يتكلمون به؛ فعلوا هذا لئلا يكثر في كلامهم ما يستثقلون؛ وكل ما فعلوا -يعني العرب- فله مذهب وحكمة فضع الكلام حيث وضعوا واتق ما اتقوا وقس على ما أجروا تصب الحق إن شاء الله»[1]، وخصوصا ما جاء في علم تصريف الكلمة وميزانها، ولعل منهج التعليل وتقليب المفردة على جميع وجوهها وأشكال رتبها في سائر الكلام، وما فعله الخليل كذلك، يكشف سبب العلامات الإعرابية، بما أطلق عليه «نظرية العامل»، ثم تقلّيَب ما بين حروف المفردة في ذاتها ليظهر المستعمل من المهمل، وجاء بأضخم معجم يعج حينها بالمفردات، وأطلق عليه «معجم العين»؛ فأظهر قدرة اللغة الفائقة، وبين ما فيها من كثرة المعاني والمفردات[2]، وكذا فعل سيبويه (180ه) في «كتابه» حيث وضع اللبنات الأولى لأصول النحو على غرار ما فعل أستاذه، وجاء ابن جني فأسهب في تعليلاته، لعلاقة المفردات في تراكيبها بمعانيها وأصواتها وصرفها ومواقعها، وعقد بعدهم الجرجاني علاقة تآلفية ومُلزِمة في اقتران النحو بالمعنى في نظرية ظريفة سماها «نظرية النظم».

فاللسان العربي كلٌّ متناسق، وبناء متماسك على اختلاف استعمالاته، وتنوع عناصره وتصرف المتكلم فيه؛ إذ إن هذا المنطق الداخلي الذي يحكم قوانين التعبير فيه، ويقدمه في صورة متماسكة متكاملة هو ما دعانا لتسميته نظامًا لغويا؛ فاقتضت عادة العرب النحاة التعليل والبرهان على هذا المنطق الداخلي للسان العربي بمجمله، وعلم النحو ليس مجرد معرفة بالأساليب؛ بل تعدَّى إلى استنطاقه، والوقوف على القواعد التي قادته إلى

1- ابن جني، أبو الفتح عثمان، المنصف في شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، ط1، 1954، وزارة المعارف، 2/299

2- ينظر الخطيب، محمد عبد الفتاح، ضوابط الفكر النحوي، ص1

انتحاء «سمت كلام العرب»، والجريان على أساليب اللغة الرقيقة، استقراء ووصفًا وتعليلًا.

وهذا الفكر يفسر الموقف الدقيق، الذي صفَّى كلام العرب من الاستعمالات الشاذَّة، والغريبة عن النظام النحوي، وبوصفها غير منطقية -وهي مسألة فيها خلاف- فلا يعوَّل عليها في اصطناع القاعدة والمعيار، ولن يتأتى ذلك إلا بضبط منهج دقيق صائب؛ لذا اختلف منهج علمائنا عن بقية مناهج الأمم الأخرى في النظر إلى لغتهم، فمقصد نحاة العربية في دراسة النحو؛ يختلف عن مقصد الدراسات الغربية للغاتهم، التي ارتكزت على الوصف للواقع اللغوي لديهم فحسب، بينما علماء العرب كان مقصدهم بدايته معياريا، واختلط به المنهج الوصفي؛ فمن ناحية أولى؛ لأن اللغة العربية ترتبط بشرع لا يحتمل الخطأ فيه، ونرى أن النحاة هم من أهل العلوم الشرعية، فعندهم القرآن الكريم مُنزَّه ليس لأنه بلغة العرب؛ بل لأنه كلام الله عز وجل في علاه، ولكن من ناحية ثانية- وهم في مقصدهم هذا لم يهملوا الوصف البته-؛ جمعوا كلام العرب واستقرؤوه من منبعه؛ فتكلموا عن مستويات اللغة، ووصفوا الواقع اللغوي من لهجات القبائل وقتها وطرائفها المتنوعة؛ فذكروا الكشكشة والعنعنة والطمطمانية والقطعة وغيرها، ونظام لغات قبائل بعينها: كالأزد وتميم والحجاز وطي وهذيل وحمير وغيرها، ورفعوا الأفضل منها بعد تدبرهم للهجاتهم؛ فنقّحوها وقدموا التفسير لاختيارهم لهجة على أخرى أو لغة على غيرها، أليس هذا وصفا وتوثيقا للغة السليمة؟!، ورغم ما قيل عن هذه اللهجات في ضعف نقائها، ورفعة لهجة قريش عنها، فقد عقد ابن جني في كتابه الخصائص بابًا سماه: «اختلاف اللغات وكلها حجة»، أشار فيه إلى بعض الصفات المشهورة عن لهجات القبائل، وأن بعض تلك الصفات أشهر من البعض الآخر وأكثر منها شيوعا في اللغة، ولكنها جميعا مما يحتج به، إلى أن قال ما نصه: «إلا أن إنسانا لو استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب لكنه يكون مخطئا لأجود اللغتين، فأما إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه غير منعي عليه»[1]، إشارة إلى إمكانية الاحتجاج بباقي اللهجات المعزولة عن الاحتجاج؛ فابن جني وصف فعمّق قي الوصف، وعلل لما أتى به اللغويون أمثال السيوطي 911ه، رغم تقدمه عنه زمنا.

وجاء العنصر الثالث بما يُعرف بالقاعدة والاستعمال؛ فعلماؤنا الأوائل بنوا قواعدهم على جزء كبير من المدونة الشريفة، وهي القرآن الكريم، والسنَّة النبوية، إضافةً إلى رفيع كلام العرب من الشعر والنثر، فاكتشفوا طرق التصرف في اللغة والتوسع في احتمالاتها وأوجهها؛ فميزوا بين القاعدة والاستعمال بالوصف، وردِها إلى ما يسمى «وجه الكلام»،

1- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، 2/12

«وتمام القول»[1]؛ وهما المصطلحان الأكثر شهرة في سجلاَّت النحو- أعني وجه الكلام، وتمام القول- وستجد كيف علل «ابن جني» ما هو عام بشموليته، وما هو خاص ومحدد.

وإذا بحثنا عن القاعدة والاستعمال عند اللسانيين سنجدهما؛ ولكن بمصطلحين مختلفين فيما يسمى ثنائية اللغة في علم اللسانيات؛ فالأول هو النظام اللغوي الكامن في ترتيب الذهن، والثاني المنجز الكلامي الظاهر، والاستعمال الفعلي للنظام اللغوي، «فتخرج اللغة من سكون النظام إلى حركية الفعل؛ فتصبح حدثًا يرتبط بسياق فيه من الوسائل وما يصوغ من الأساليب»[2].

وفرَّق النحاة الأوائل بين القاعدة والاستعمال، والاستعمالات فيما بينها؛ التي تتداخل فيه الضوابط الحاكمة، وتكثر فيه التجوّزات، ولذا تتعدد في الصور المستعملة؛ ولكن كيف؟

قام النحاة بالتأصيل للظواهر من خلال الرؤية العامة الشاملة للغة، وهي النظرة الكلية التي أسست القاعدة، وليس من الجانب الجزئي وهو الاستعمال؛ فما يُرسى من ضوابط في اللغة قاعدة وأصلًا؛ وما يؤتى به من منجز كلامي فهو استعمال يعد جزءًا وفرعًا[3]؛ ولنمثل على هذه العبارة بمثال: فدراسة «الأساليب وعلم المعاني» مثلا تعتمد على الكلام المنجز؛ وهو في الحقيقة عدول عن الأصل، بينما يعد الإعراب - على سبيل المثال - نظرية تعتمد على تقعيد اللسان بوضع معايير ضابطة له؛ من حيث الموقع والحركات سواء أصلية أو فرعية، والرتبة، والعامل المؤثر اللفظي والمعنوي الظاهر منها أو المحذوف، وتقديم التعليل لذلك الإعراب مبرهنين بتلك العناصر كلها، وميز النحاة بين الأمرين منذ القدم، وأثبتوا وجود علاقة بين الأساليب وعلم المعاني التي هي معظمها عدول عن الأصل، وبين نظرية الإعراب المرتكزة على تقعيد اللسان؛ وهذه العلاقة هي تعود في الأصل لمنشئ الكلام؛ الذي يعي بنظام اللسان وميزانه، ومحدِد للمعاني البديعة المترتبة في ذهنه؛ فيُخرجها في قالب لا يخلُّ بالنظام النحوي؛ حتى لو كان الظاهر غير ذلك؛ فهناك أدوات وأساليب يتجه لها النحاة وغيرهم من علماء المعاني والتفسير من تقدير للمحذوف من الحركة إلى الجملة، ومن وتأويل للمعنى؛ لإرجاع كل ما يُظهِر شذوذا عن القاعدة إلى قاعدته الأصلية فيسير متوافقا مع النظام النحوي؛ أما ما أتى به عز الدين مجذوب في «منواله»؛

1- ضوابط الفكر النحوي، ص177

2- صمّود، حمادي، المجلة العربية، النقد وقراءة التراث عود على مسألة النظم للثقافة، 1993، ص57-5

3- ضوابط الفكر النحوي، ص178

فهو لا يتناسب مع النظرة الكلية والشاملة للنظام النحوي وفكْر النحاة، مُبينا أن» فائدة الفصل الذي أقامه النحاة العرب - ويعني الفصل بين العلمين النحو وعلم المعاني-، والذي مكّنهم من حصر مجال دراستهم وجمع معطيات متجانسة حسب وجهة نظر محددة»[1]، وهذا الفصل - بين النحو وعلم المعاني- والذي يعنيه صاحب كتاب المنوال هو فصل- من وجهة نظرنا- كان شكليا ونظريا، ولو عدنا لتعريف ابن جني للإعراب؛ سنراه يعلق الاستعمال والمعاني برقاب الإعراب والألفاظ والرتب والحركات؛ فقال عنه: هو «الإبانة من المعاني بالألفاظ»[2]، وقال عنه ابن فارس أيضا: «أما الإعراب فيه تميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين»[3]؛ لذا فإن هذه الضوابط والمعايير قد تتلاشى أمام أهمية المعنى لدى العرب، ومن هذا المنطلق نلمس أهمية علاقة اللفظ بالمعنى والأصل بالاستعمال، فلا يُدرس جزء بمعزل عن جزء آخر؛ ولا يستطيع النحوي أو الباحث اللغوي؛ أن يقطّع النحو إلى أجزاء، أو يدرس فرعا؛ مستغنيا عن منظومة النحو العربي الكاملة؛ فهناك دائما نقطة التقاء؛ إن لم تكن هناك نقاط تلاقٍ بين الفروع والأبواب؛ لأمن الالتباس، واستمرار التواصل بين الناس بوسيط لغوي واضح ومفهوم، ومن خلال ما تركوه من مؤلفات يتضح لنا دقة العلماء العرب وموضوعيتهم في بحثهم العلمي، وعرفتهم التامة بمهارات التفكير العليا، المعروفة كما في يومنا هذا، وطرق البحث العلمي الحديث للظواهر العلمية والإنسانية، ومدى تعمقهم في تعميم الكليات على الجزئيات، وتناولهم أساليب دقيقة مثل: البحث بالملاحظة والاستقراء والاستقصاء والتحليل والاستنباط، فعندما جمعوا المادة بالحدود التي تواضعوا عليها؛ صنّفوها ووصفوها وحللوها وعبروا عن آرائهم، وخرجوا بنتائج مبهرة، ثم عمدوا إلى توثيقها بقائلها سواء من الشواهد أو بتعليقات شيوخ النحو وعلماء اللغة، وأسهبوا في شرحها لمن سيتناولها من بعدهم؛ بل وتركوا لمجال مفتوحا لمن سيضيف، أو يناقض بشرط أن يأتي بالبديل المقنع.

وعندما تكلم النحاة عن الأصل- الذي تحكمه قواعد اللغة- وكذا العدول عن الأصل؛ فهو في الحقيقة محكوم باستعمال المتكلم للغة كما بيناه سابقا؛ على سبيل التجوُّز والتوسع بما تسمح به اللغة، ولا تنكره سنن العربية، وما عرف به خطابها للإفهام أو التأثير بشرط أن تأمن اللبس؛ وكان التقدير والتأويل أدوات لبيان المعنى للتراكيب التي

1- مجذوب، عز الدين، المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، ط1، تونس، 1998، ص19

2- الخصائص، 1/35

3- الحسن، أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق السيد أحمد صقر، ط 1975 الحلبي، ص 310

عدلت عن الأصل: كالحذف والإظهار والإضمار والتقدير والزيادة والتقديم والتأخير والوصل والفصل وغيرها؛ إذ إنَّه يربط بين الأصل وما عدل عنه في الاستعمال؛ فصار أداة مهمة في نمو الفكر النحوي، وآلة خادمة في كشف أسرار معاني القرآن الكريم، وإعجازه من خلال نظمه؛ كونه جاء بلسان العرب.

واستكمالًا للمنطلقات الموجِهة لفكر النحاة في نشأة علم النحو؛ هناك المنطلق الثاني وهو: الضوابط المنهجية[1]، والمنهج لغةً: الطريق الواضح، قال تعالى: { □ □ □ □ں}[2]، أي طريقًا واضحًا وسالكا في الدين[3]، أما المنهج في الدراسات الحديثة هو: الجانب الذي يؤسس التفكير والطريق لإنتاج المعرفة في أي علم من العلوم، أو الطريقة المنظمة للتعامل مع الحقائق والمفاهيم بغية استنباط الأحكام العامة، والنتائج الكلية والخروج بالمبادئ والنظريات التي تشكل العلوم والمعارف[4]، فالمراد من منهج الفكر النحوي أو الضوابط المنهجية هي: طرائق علمائنا النحاة الأوائل في الاهتداء إلى سنن العرب في كلامها، ومعهود خطابها وصفًا وتقعيدًا، فالعلم لا يتحرك في غياب منهج ثابت[5]، وهو الذي يؤسس الرؤية النظرية التي من خلالها يتم التحكم في هذا النظام وجمع أشباه ونظائر مادته، وتفسير كل ما فيه من معطيات والبناء عليها، فالأعمال التي أنتجها فكر النحاة هي المنطلق الأول للكشف عن معالم منهج علمي متناسق ومتوافق.

ولمنهج نحاتنا مكونات، وهي تعد أصول النحو التي تقوم على ركائز ثلاث؛ فأما الركيزة الأولى فهي: الاستقراء بالتصفح، والتحري والتدقيق في مدونته الكبرى القرآن الكريم، والركيزة الثانية: القياس بالبناء على الأكثر استعمالًا وتواترًا وجمعًا بين الأشباه والنظائر، وكثيرًا ما يجمعون بين السماع والرواية؛ فيقول السيوطي: «اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه»[6]، والركيزة الأخيرة: التعليل وهو إعمال العقل في الظاهرة اللغوية،

1- ضوابط الفكر النحوي، ص183 ا

2- سورة المائدة آية 48

3- الرازي، أبي الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، باب النون والهاء وما يثلثهما، 2/528

4- النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1/36

5- المرجع نفسه 1/35

6- حمودة، د. طاهر سليمان، جلال الدّين السّيوطى عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدّرس اللغوي، الناشر المكتب الاسلامي، بيروت، ط1 1989ص 311

بلطف النظر وطول التأمل والتدبر، ورد الجزئيات إلى أصولها من خلال التعليل والتفسير؛ فإذا استقامت؛ استقام الأصل واطَّرد، وأدت هذه الطريقة إلى كشف النقاب عن مكنونات نظام هذا اللسان، وبهذه الركائز الثلاث انطلقت من هذا المنهج كل المساعي التنظيرية في النحو العربي، ومقولاته الضابطة، لذا يعد كل من الاستقراء والقياس والتعليل؛ مفاتيح العلم في الفكر الإسلامي كله وفي قراءة النصوص مهما اختلف زمانها وغرضها، وتعد هذه الأساليب والأدوات مفاتيح النص ليس في الفكر النحوي وحسب؛ بل في جلّ العلوم المختلفة التي قامت على النظام ذاته؛ لأن الفكر الإسلامي منظومة واحدة، والحواجز بين اختصاصاته رقيقة أو تكاد تكون متلاشية تقريبًا؛ فكلها تقوم على تفسير النص القرآني، وفهم غاياته؛ ولا ننسى التعدد في الاختصاص العلمي عند علمائنا؛ فكان كثيرٌ من علماء العرب يجمعون بين أكثر من علم في آن واحد؛ فتجد النحاة فقهاء وعالمين بالأصول أو قرَّاء أو قضاة أو متكلمين أو مفسرين وغيرها من التخصصات؛ التي كانت سببا في تداخل العلوم تداخلا يكمل بعضه بعضا ويدعم هذا الآخر، وخصوصًا في الخطاب ومصطلحات جل العلوم الإسلامية[1]، حتى لا تستغرب كيف ترتحل بعض المصطلحات العلمية بين العلوم، محتفظة بمفهومها المعجمي العام، ومتغيرة في دلالتها وحدودها من علم لآخر كمصطلحي التعليل والقياس؛ وبذا فإن منهج الفكر النحوي نضج في هذه المنظومة الرائعة، واستمد نظامه المعرفي وأساسياته من الفكر الإسلامي؛ فهو مرتبط بخصائصه التي استندت متأثرة بالخلفيات الثقافية، والأجواء الفكرية التي نشأت فيه، وهذا يخالف تمامًا المزاعم التي تروِّج أن منهج الفكر النحوي متأثر بالمنطق والفلسفة اليونانية، وكلها تخمينات وادِّعاءات وظنون لا براهين لها، وهي اتهامات لا مجال لذكرها والرد عنها في بحثنا المحدد؛ فهو ليس غايتنا ولا ميداننا الذي نتباحث فيه.

وأخيرًا المنطلق الثالث والموجِّه لفكر النحاة في نشأة علم النحو؛ وهو الضوابط النظرية: ولصحة أي نظرية يجب أن تتسم بالشمول والملاءمة، وعدم التناقض والاقتصاد في القواعد والأصول[2]؛ فالفكر الذي لا يمشي على هدى نظرية؛ لا يصل إلى نتيجة شاملة، ولا يخلص إلى حقائق؛ لأن النظرية هي التي تفضي بالعلم إلى فلسفة ومبررات واصطلاحات، وبإيجاز

1- عبد الرحمن، د. طه، تحديد المنهج في تقويم التراث، مبحث «التداخل المعرفي الداخلي وتكامل التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1993، ص9

2- إعداد وتصنيف: مرعشلي، نديم وأسامة، الصحاح في اللغة والعلوم: تجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية، تقديم: عبد الله العلايلي، الناشر الحضارة العربية، ط 1، بيروت، 583-2/580

فهي تطبعه ببصمته الخاصة التي تدل عليه بموجب عنصرين؛ وهما: مجموعة من الأحكام متعلقة بموضوعه؛ فتضبطه بين الصواب والصحة، ومجموعة من الضوابط الكلية تشكل نظريته التي تفسر أحكامه وعلله، وفلسفته التي توضح فائدته وأهميته[1]؛ لذا فإن النظرية هي أساس العلم التي لا ينهض أي علم إلا بها، ومن المعروف أن أي ممارسة علمية، تحتم بناء أصول نظرية، يرجع لها أصحابها؛ فتنظم حوارهم وتجيب على استفساراتهم، وتحفظ وحدة صناعتهم ولغة اصطلاحاتهم[2]...ومن هنا يفرض هذا التساؤل نفسه؛ هل تشكلت نظرية نحوية واضحة من نحاتنا الأوائل أحكمت عملهم وفسرت سمات هذا العلم وخصائصه؟

فإذا كانت النظرية هي بناء عقلي، يتوقف على ربط أكبر عدد من الظواهر الملاحَظة بقوانين خاصة، فتكوِّن مجموعة متسقة يحكمها مبدأ عام وهو «التفسير»، فإن نحاتنا قدَّموا من خلال الفكر النحوي جهازًا تفسيريًّا مكتملًا، وملامح تنظيرية واضحة المعالم، تتكشف عن منطق ضمني ينتظم فيه نحو العربية بمجمله، وتحتوي على معايير من نحو التعليل والتأويل، والنظر في البنية العميقة للتركيب، وتوسيع القياس واتخاذ المثال المستعمل دليلًا على الأصل المستنتج، والعناية بالتصنيف والمفاضلة بين الاستعمالات، والمراوحة بين الاستعمال والمعيار، ومحاولة الكشف عن منطق هذه اللغة؛ فهذه نظرية واضحة، تجيز لنا الحديث عن نظرية نحوية متكاملة بفكر نحوي، أنتج نظامًا متماسكًا ومحْكمًا؛ فالنظر في تفكير الأوائل ناطق برؤية مكتملة في النحو العربي، تقوم على مرتكزات فكرية من خلال النظر في التراث النحوي، الذي بين أيدينا في محاور ثلاثة، أولها: نظرية العامل؛ حجر الزاوية في النحو العربي[3]، ومرتبط بالحركة الإعرابية؛ وثانيها: الأصل والفرع؛ وهي من أبرز المقولات المسيطرة على الفكر النحوي التي وسعت الاستعمال في اللغة، والتي حكمت الكثير من مظاهر الدرس النحوي؛ فإما من أصل المسموع وإما انتهاء من أصل القياس، وهذا مكَّن النحاة من الإحاطة بمظاهر الدرس النحوي على تشعبه، ولمِّ شتاته.

وأمّا ثالثها فهو: البعد الخارجي في التحليل النحوي للتراكيب اللغوية، والوقوف على أسرارها، بفهم ما يحكم التراكيب اللغوية المختلفة من بناء علاقات داخلية وخارجية؛ فتحتك

1- ينظر: الخولي، محمد علي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح للنشر، الأردن، ط 1999، ص21.

2- ضوابط الفكر النحوي، ص180

3- الراجحي، عبده علي ابراهيم، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة، بيروت، 1979، ص148

الكلمة بالكلمة، وتولِّد الملابسات السياقية والعلائق المنطقية والإحالات المعنوية، وهذا البعد هو المدخل لعلم المعاني، ومفهوم المجاز المرتبط ارتباطا وثيقا بفاعلية النحو ومعاني وظائفه؛ ولأن النص والمدونة كانت هي مادة النحو النظرية، وهي أساس الفكر النحوي قبل المنهج المتبع؛ فإن مادة تلك المدونة هي التي حددت النظرية وكيفيتها؛ فالفكر النحوي ليس نظرية بنى عليها النحاة ممارسة علمية؛ بل العكس هو الصحيح[1]، فكان هنالك محتوى قائم بذاته متكامل البنية ومستعمل، التفت إليه المهتمون والمختصون؛ ولُمَّ لمَّا بعناية وتَفَحُّصت أبعاده بدراية، ومن ثم يُصنف بطرائقه ويسمى باستعمالاته ويعمم بممارسته حسب المعيار؛ فالمُسَلَّم به ممارسة العلم وجمع مادته، وفحصها ووصفها؛ وتصنع على مفاهيمها المصطلحات، ثم بعد ذلك يضع العالم لها الأصول، ويبنى عليها المنهج، وهذا ما جرى لعلم النحو الذي كان عبارة عن محتوى مسموع، وأُنزل في أوعية مكتوبة؛ ثم وُضعت له الحدود بيدٍ دارسة، وعين فاحصة وعقول عالمة وواعية لما جمع السلف وكيف صُنف ولماذا.

وخلاصة القول: إن النظام النحوي، تشكّل من جهود النحاة وأهل اللغة، بجمع كلام العرب واستقرائه ووصفه؛ فكان منهجهم استقرائيا ووصفيا في آن واحد، ويهدف إلى الفهم والإفهام لكتاب الله عز وجل، فكان الاستقراء بالتصفح بداية للشروع في المرحلة الثانية وهي القياس بالبناء على الأكثر استعمالًا، ومن ثم التعليل بإعمال العقل في الظاهرة اللغوية، ورد الجزئيات إلى أصولها؛ فإذا استقامت؛ استقام الأصل واطَّرد، وأدت هذه الطريقة إلى كشف النقاب عن مكنونات نظام هذا اللسان؛ فارتكز النظام النحوي على أسس ضابطة لمناحي الكلام؛ من أجل التعليم والتعلم وضبط اللغة.

وأكد نحاتنا فكرة «نظام اللغة» من وجهة نظر أنها تعبير عن التجانس، وبلوغ أقصى غاياته في فترة نزول القرآن الكريم الذي يعتبر حجر الأساس في نشأة النظام النحوي.

إن النظام النحوي يسمح بالتوسع من خلال المشابهة، وحمل الكلام بعضه على بعض، ويتصف بالمرونة ليخدم المعنى، ويصعب الاجتزاء منه وفصله عن بعض البعض؛ فهو يعمل في شبكة واحدة من مستويات مختلفة صرفا وتركيبا وصوتا ودلالة، أساسها هو

1- عبد الرحمن الحاج صالح، ضمن بحوث كتاب: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، وقائع ندوة، الرباط، 1987، ص374، كراسات المركز سلسلة يصرها المركز التقني لتطوير اللغة العربية الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، النظريرة الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، الجزائر، العدد 4، 2007، ص 24

فكر النحاة الأوائل ورؤيتهم وحتى في اختلاف آرائهم.

المبحث الثاني: علاقة لغة الشعر بالنظام النحوي

إن الشعر من اللغة، وإن القصيدة تركيب أو بناء لغوي بحسب رأي حماسه[1]، وهو على المشهور كلام ذو معنى موزون مقفى مقصود، وقال فيه الخليل بن أحمد محتفيا بالشعراء: «الشعراء أمراء الكلام يصرفونه أنى شاءوا، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده؛ فيحتج بهم ولا يحتج عليهم[2]»، وقد وضع الخليل في هذا القول أسسًا كثيرة، اعتمدها النقاد من بعده.

وقال عنه ابن منظور: «الشعر منظوم القول غلب عليه؛ لشرفه بالوزن والقافية»[3]، وعلى هذا فإن الشعر يشترط فيه أربعة أركان، المعنى والوزن والقافية والقصد، والمعنى هو غايتنا في هذه الدراسة؛ ولا يعنينا من الشعر تكويناته ونظامه وأشراطه؛ لأن الشعر معروف ومميز عن بقية الكلام بهيكله المميز عن سائر الكلام؛ بل يعنينا في بحثنا هذا لغته وتركيباته اللغوية، التي ارتقت بمعانيها، يقول فيه القاضي الجرجاني 392ه: «أنا أقول - أيدك الله - إن الشعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبعُ والرّواية والذكاء»[4]؛ فرفعه الجرجاني لمستوى العلم، وقال عنه المظفر ابن الفضل: «إن الشعر عبارة عن ألفاظ منظومة تدل على معان مفهومة»، وقال أيضا: «والشعر عبارة عن مثل سائر وتشبيه نادر واستعارة بلفظ فاخر» ومن بين أدواته الكثيرة قدم النحو قبل أي آلة فقال: «وأما الشعر فيحتاج إلى آلات وفيه ألقاب وله صفات إلى أن قال: «فأما النحو فإنه من شرائط المتكلم سواء ناظما أو ناثرا أو خطيبا أو شاعرا ولا يمكن أن يستغني عنه إلا الأخرس الذي لا يفصح بحرف واحد»[5].

1- محمد حماسة عبد اللطيف، اللغة وبناء الشعر، ط1، القاهرة، 1992، ص26

2- القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب أبو خوجة، الناشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1986، ص 143

3- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 4، ص410

4- الجرجاني، علي بن عبد العزيز القاضي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، دار الكتب الوطنية، عيون النثر العربي القديم، أبوظبي، 2016، ج1، ص 15

5- العلوي، المظفر بن فضل، نضرة الإغريض في نصرة القريض، تحقيق نهى عارف الحسن، دار صادر، بيروت، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1976، ص10 وما بعدها

ولذا فإننا نرى أن لغة الشعر لها خصوصية، تختلف فيها عن مستوى لغة العلم المباشرة ذات الحقائق المنطقية التي غايتها التعليم، فالشعر في حد ذاته علم ولغته فردية وخاصة، بما تحمله من حيوية وتنوع في الألفاظ والتراكيب والمعاني والدلالات؛ أكثر مما تحدده المعاجم، أو تأتي به التراكيب اللغوية المعروفة، أو المعاني المتداولة المكررة.

وعندما يتخذ النحوي من الشعر شواهده وبراهينه في التأصيل للنظام النحوي، ذلك لأن النحوي أدرى باللغة ونظامها؛ فهو جعل بذلك للشعراء خصوصية في استعمال اللغة؛ ولقد ذكرت سابقا قول الخليل بن أحمد الفراهيدي عن الشعراء بأنهم أمراء الكلام يصرّفون الكلام كما أرادوا[1]، أليست هي لغة خاصة ؟!؛

ففي الشِّعر أيضا وصفا للهجات فهو مَوْرِدٌها، ويتَّضِح هذا المورد من خلال لُغَة مَن يُلْزِم المثنى الأَلِفَ مثلا

قـائـلًا: إنَّ أَبَـاهَـا وَأَبَـا أَبَـاهَـا قَـدْ بَلَـغَا فِي الْمَـجْـدِ غَـايَتَـاهَا

ومن خلال لغة «أَكَلُونِي البَرَاغِيثُ» التي ورد مُرادها واضحًا في لغة الشِّعر، حيث نجد:

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لاحَ بِعَارِضِي فَأَعْرَضْنَ عَنِّي بِالخدود النَّوَاضِرِ

اعتُبر الشعر المكتبة التي استدل منها اللغويون على كلامهم؛ فأثروا معاجمهم، وشواهد النحاة كثيرة في الاستشهاد على التوسع والعدول عن القاعدة بالاستعمال الواقعي للغة؛ وما تركوا النثر لنقص فيه؛ ولكن الشعر يحوي ذلك كله، وهو الاستعمال الرفيع الذي نزل عليه القرآن الكريم معجزا لقوم تمرسوا الشعر وتفوقوا فيه؛ فأعجز مبدعيهم، أن يأتوا بمثل كلام الله تعالى وهو من حروف لغة شعرهم.

وقال ابن عُصفور عن الشعر: «والشعر كله ضرورة»، ويعني به عدول عن الأصل لإبراز معان بديعة، ولو انتقلنا إلى علم اللسان الحديث فنرى توازيا لما في تراثنا من خلال نظرتهم لأهمية الشعر ووظيفته وخصوصيته؛ فيرى «تودوروف» أن هنالك علاقة وطيدة بين اللسانيات والشعر؛ لأن الأدب نتاج لغوي، وكل معرفة باللغة ستكون بعد ذلك ذات أهمية باللسان الشعري، ولقد عدّ «جاكبسون» اللغة الشعرية فرعا من فروع اللسانيات؛ كونها تهتم بقضية النظام اللساني وبنيته؛ فاعتبرها فرعا من اللسانيات، الذي يعالج الوظيفة الشعرية في علاقتها مع الوظائف الأخرى للغة، وتهتم بالمعنى الواسع للكلمة ليس داخل

1- القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 143، 144

الشعر فقط؛ بل أيضا خارجه؛ أبرزت نظرية جاكبسون اللغوية التواصلية[1] فاعلية الوظائف اللغوية عامة والوظيفة الشعرية خاصة؛ حيث قامت بتقسيم فعل التواصل إلى ستة عناصر؛ بين منجِز يرسل رسالة إلى متلقٍ، ولفهمها يجب توافر ثلاثة عناصر أخرى هي السياق والصلة والسنن؛ ويعنى بها الخصوصية الأسلوبية[2]، في اختيار البدائل اللغوية المتاحة للشاعر التي تميزه عن غيره من الشعراء.

وكذلك ما قدمه تشومسكي في أهمية فهم اللغة الإنسانية، وبالأخص لغة الشعر من خلال جانبين متقاربين هما الإنجاز اللغوي أي البنية السطحية، والطاقة اللغوية وهي البنية العميقة للكلام، يعتبران المصطلحان الأهم في النظرية التوليدية التحويلية، لا يعتبر أمرا جديدا في موضوعات النحو العربي القديم؛ فالإنجاز الشعري- على اعتبار أنه نموذج دراستنا- فهو يمثل البنية السطحية ولكنه في الحقيقة يعكس الطاقة اللغوية، وما يجري في العمق من عمليات ذهنية، وهو ما فنّده سيبويه في مستويات الكلام المستقيم الحسن والمستقيم الكاذب والمحال، وما نادى به الجرجاني في نظرية النظم، واختيار ما يترتب في ذهن الشاعر من ألفاظ وتراكيب تناسب المعنى العميق لديه، وما جاء به أيضا ابن جني من تفسيرات وتعليلات لسبب اختيار هذه اللفظة عن تلك، وما يقصده الشاعر باختيار هذا التركيب عن ذاك؛ إذًا المتلقي لتلك الإنجازات اللغوية، يشترط فيه المعرفة باللغة، والتأني عند تفسير اللغة الشعرية، وتمحيص البدائل اللغوية التي شكّلت اللغة الشعرية، ومن هذا الجانب نؤكد أهمية ما وضعه نحاتنا القدماء من مسألة الضرورة الشعرية كمتلقين مثاليين؛ فنّدوا لهذه المسألة ووضعوا الرخائص حولها، وجوّزوا للشاعر ما لم يجوزوه للمتكلم العادي.

ولعل موقف ابن جني من الضرورة الشعرية، مرتبطة لديه بحاجة الشاعر لها في إبراز معنى جديد؛ فقد قال: «فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات، على قبحها وانخراق الأصول بها؛ فاعلم أن ذلك يدل على ما جشمه منه، وإن دل من وجه على جوره وتعسفه؛ فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمطه، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته، ولا قصوره عن الوجه الناطق بفصاحته، بل مثله في ذلك عندي مثل مجري الجموح بلا

1- ياكبسون، رومان، قضايا الشعرية، المحقق: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، 1988، ص 30-28

2- الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلة لنظرية جاكبسون، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2007

لجام، ووارد الحرب الضروس حاسرًا من غير احتشام. فهو وإن كان ملومًا في عنفه وتهالكه؛ فإنه مشهود له بشجاعته وفيض منته؛ ألا تراه لا يجهل أن لو تكفر في سلاحه، أو أعصم بلجام جواده؛ لكان أقرب إلى المنجاة وأبعد عن الملحاة، لكنه جشم ما جشمه على علمه بما يعقب اقتحام مثله إدلالًا بقوة طبعه ودلالة على شهامة نفسه»[1]، وأتينا بما قاله ابن جني تاما على طول مقولته؛ لما فيها من تعليل جيد ومقنع لحاجة الشعراء للضرورة، فقد عدَّ ابن جني التجاوزات عند الشعراء بالشجاعة؛ كمن يمتطي جوادا جامحا، أو كمن يدخل المعركة بلا درع واقٍ؛ فهي التضحية بهلاكه ذاك من أجل معنى رائع، وفكرة بديعة؛ ألا يستحق أن يكرّم هذا الفارس ويشار له بالبنان على شجاعته؟!، ولا يرى ابن جني ضيرًا من خرق النظام النحوي؛ لأجل المعنى واستقرار الفكرة ووضوح الغرض ووصول المرام للمتلقي.

إن الضرورة الشعرية مصطلحًا؛ ومفهوما أُريد بها التجاوز عن منطقة الخلاف بين الشعراء والنحاة؛ إلى الفضاء الذي تصالح فيه الشاعر الباحث عن المعاني، والنحوي الملزَم بالضابط النحوي، والضرورة الشعرية هي المنحة الخاصة من النحاة وبالأحرى من النظام النحوي الحاضن لها، والاستثناء الذي مُنح للخاصة من منشئي الكلام؛ لأن لغة الشعر هي لغة خاصة، ومتفردة عن بقية مستويات اللغة جمالًا فكريا ودلاليا ماتعًا؛ وقد أَضْفَت المرونة على اللغة استعمالًا للمخزون من الألفاظ والتراكيب المهملة، وأكسبت الاستعمال اللغوي مندوحة في التوسع الحر، حيال استعمالاته اللغوية في الشعر، وميدانًا لثراء اللغة وتكاثرها، وساحة للإبداع في الاستعمال، والابتكار في التناول دونما قيود، أو ما حسبوه ظنًا منهم أن القياس مناقض للإبداع الفكري؛ وهذا مناف لواقع المنجز الشعري ومظهره؛ فالضرورة الشعرية ليست مخالفة للضابط النحوي؛ وإنما مفتاحًا استخدم لأكثر من وجه لفتح أقفال المعاني من باب رخص التراكيب النحوية باغيا المعنى؛ فجدَّدت الضرورة الشعرية الرخص أمام اختيارات الشعراء، ويدلَّ انصياع اللغة لهذا العدول على مرونتها، وإعجازها واتساع عمقها ومرونة في استعمال مفرداتها وتراكيبها ومواقع إعرابها، وقدرة المتمكن منها على التوسع فيها بقدر ما يريد؛ بشرط التمكن من اللغة وتشرُّب نظامها من منطوقها اللغوي، وهو شرط جوهري يقود نظام اللغة إلى لغة خاصة بالشعر.

إن النحاة الأوائل من أمثال ابن جني والجرجاني وغيرهم، وبعض اللغويين المحدثين من أمثال محمد حماسة، الذين أدركوا مرونة اللغة وقدرة اتساعها، وإمكاناتها، لم يغلقوا

1- ابن جني، الخصائص، ج2، ص394، 395

على الشعر والشعراء بحدود وقوانين النظام النحوي، وهي بالفعل حدود وأنظمة يجب مراعاتها؛ ولكنها مرنة ذات مسامات، يتنفس الشعراء منها بقدر تلك الرخص لتبرز لغة شعرهم، ولو تعاملنا بمثل نهج هؤلاء النحاة واللغويين، بتلك المرونة في فهم النظام النحوي على أصوله التي نشأ عليها؛ لانبلجت لنا حقيقة فاعلية النحو في تجديد المعاني وابتكارها وارتقائها، حيث أيّد الناقد المعروف مصطفى ناصف» علاقة النحو بالمعنى بقوله: «والواقع أن فاعلية النظام النحوي في خلق المعنى غير ماثلة في أذهاننا، وهذه الفاعلية جزء أساسي من حيوية اللغة، وقدرتها على أداء كثير من وظائفها.. إلى أن قال:... ولكن يظهر أننا حتى الآن لا نقدِّر خطر الفهم النحوي الناضج، أو نظن أن مراجعة المعاني أمر لا يهم المشتغلين بالشعر وفلسفة الفن»[1]، وواضح من قوله بأن هناك فئة من النحاة واللغويين ممن حذّروا الخروج عن القياس، ووضعوا اللغة في ميزان الصواب والخطأ، ولكنه أُبْرِز بمفهوم خاطئ؛ وعلينا البحث عن حقيقة علاقة النحو بالمعنى في لغة الشعر تطبيقا عمليا؛ كي نسْتَبْين مدى فاعلية النحو في إبراز معاني مبتكرة في لغة الشعر.

ويحث النحاة طلبة العلم على تعلم اللغة من منبعها الأصيل، ومن مدونتها الأولى، ويؤكدون على أهمية معرفة حدود النحو وقوانينه، ليستند المتعلم على أسس قوية، يعود إليها كلما أراد أن يتوسع في لغته، ويأتي بالجديد؛ فهم استعانوا بالنحو لجلب المعاني الأصيلة، فعرفوا أهمية النحو وقدرته كمدخل وباب في تفسير النصوص ومفتاح لقراءتها؛ ومن هذه النقطة نعود إلى نقطة أخرى وهي الإبداع الأدبي الحقيقي؛ الذي سار على طريقة ومنهج «سمت كلام العرب»، وأساليبهم في التعبير، لقد أدرك النحاة الأوائل ذلك في قول «ابن السراج» الذي قدمنا له سابقا أن: «النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلم كلام العرب»[2]، وكذلك كما قال ابن جني: «ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطلق بها»[3]، فزاد ابن جنى جملة: «فينطلق بها» أي لا يقف عندها ونريد أن نبين؛ أنهما يقصدان أن ينحو المتعلمون بتمثل اللغة في نظامها وحفظ كلامها، والبدء بالمحاكاة على أساليب العربية، حسب ما جاء في كلام العرب؛ ومن ثَم الانطلاق بعدها للمزيد من الإنجاز اللغوي، على غرار ما تعلمه وحفظه؛ وبعدها يستثمر القدرة على

1- مصطفى ناصف، دراسة الأدب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 2013، ص214

2- ينظر؛ السراج، أبوبكر محمد بن السهل، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ج1، ص35

3- ينظر؛ ابن جني، الخصائص، ج1، ص 35

الاستغراق في المخزون التراثي، والنتاج العربي الأدبي الشعري والنثري واحتوائه ويتمثله، ويعمل المتعلم على استيلاد نماذج شعرية جديدة، ويستثمرها في نتاجاته الأدبية؛ وليس المقصود بالاستغراق السلبي في الموروث القديم، واجتراره كما هو نسخًا في الشكل والنظم؛ وإنما القصد في تجاوزه بالتوسع إلى صور جديدة، ومبتكرة بالزيادة والتوليد، والاستيراد لمعانٍ مستوحاة من هذه النماذج، وهو المفهوم الحقيقي لقوة النحو وحدوده، وهذا يعني أنه ليس في الانتحاء فقدان الشخصية وطمسها، أو غلقها على الموروث الأدبي؛ بل هي انطلاقة من وعي الشاعر المبدع بدقة انتقائه لمحتواه للبنى التركيبية المبتكرة[1]، وعلى هذا الأساس فإن كثرة المحفوظ وجودته؛ بداية الانطلاقة إلى الطريق المؤدي إلى الجودة والإبداع اللفظي والدلالي، ونستنتج مما قدمنا له تفسيرا لاختلاف المتنبي ومن تميز من الشعراء عن غيرهم، هو الذي يعكس حسن تمثلهم لمحفوظهم، وتفهمهم لنماذج إبداعية سابقة، مروا بها وتمثّلوها ببراعة، وتفننوا في ذلك، ثم توفقوا في نتاجاتهم الأدبية، وبما تميَّز المتنبي به -خاصة- من ثقافة متأصلة، ومحفوظٍ عميق فيعد عالمًا باللغة وغريبها، فلا يُسأَل عن شيء في العربية إلا وشاهده من المحفوظ العربي ومنظومهم حاضر يعلنه بفخر[2]، وسنأتي بأمثلة في الجزء التطبيقي القادم لهذا الشاعر كنموذج تمثل النحو وابتكر المعنى، تأكيدًا لما جاء في الجانب النظري من البحث، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك أيضا، فقال: «وعلى حسب ما نشأت الملَكة عليه من جودة أو رداءة تكون تلك الملَكة في نفسها، فملَكة البلاغة العالية الطبقة في جنسها؛ إنما تحصل بحفظ العالي في طبقته من الكلام....»[3]، وإشارة ابن خلدون لملكة الحفظ إشارة غاية في الأهمية تؤكد ما ذكرناه سابقا.

وما تجدر ملاحظته أن دراسة الثقافة النحوية والصرفية للشعراء، كشفت عن بقاء المحفوظ في ذاكرة بعض الشعراء، الذين تبوَّأوا مكانة شعرية متقدِّمة؛ كأبي تمام، وبشار بن برد، والفرزدق، وغيرهم، مما يحْمل على الاعتقاد بأنه لا تعارض بين أصالة الشاعر وبقاء المحفوظ في ذاكرته، وبين الابتداع في غير المألوف عن سمت كلام العرب بما يثريه ولا

1- العوضي، زكي علي وطافش، رائد فريد، سلطة النحو وإبداعية الاستعمال، الحذف عند المتنبي نموذجا، مجلة الجامعة الاسكندينافية المحكمة في العلوم الإنسانية والأساسية والتطبيقية، العدد 3، 2010، ص12 ص13

2- المرجع السابق ص 13

3- ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحاده، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط 2001، 1/797

يناقضه، ومن أمثلة الضرورة الشعرية في هذا الصدد، وأعني حفظ الغريب قول الفرزدق: [1]

وَإِذَا الـرِّجَـالُ رَأَوْا يَـزِيـدَ رَأَيْـتَـهُـمْ خُـضُـعَ الـرِّقَـابِ نَـوَاكِـسَ الأَبْـصَـارِ

يرى أغلب النقَّاد في هذا البيت مخالفة جمع كلمة (ناكس) للقياس المعروف؛ فجاء بها الفرزدق على (نواكس)، والصواب أن يقول: (ناكسي الأبصار)، وإن جئنا للحقيقة فإن ضرورة اتِّباع القياس لم تنَل إجماع اللغويين؛ فكان من حق الشاعر أن يعدل إلى صيغةٍ مخالِفَةٍ لتحقِّق له أمرًا يناسب الموقف ويلائم السياق، وهذا ما فعله الفرزدق في بيته السابق، قال المبرد: «وفي البيت شيء يستظرفه النحويون؛ وهو أنهم لا يجمعون ما كان على (فاعل) نعتًا (فواعل) لئلَّا يلتبس بالمؤنث، لا يقولون: (ضارب) و(ضوارب)، و(قاتل) و(قواتل)؛ لأنهم يقولون في جمع (ضاربة) (ضوارب)، و(قاتلة) (قواتل)، ولم يأتِ ذا إلا في حرفين: أحدهما: قولهم في جمع (فارس): (فوارس)؛ لأن هذا مما لا يستعمل في النساء فأمنوا الالتباس، ويقولون في المثل: (هو هالك في الهوالك) فأجروه على أصله؛ لكثرة الاستعمال لأنه مثل، فلمَّا احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال: (نواكس الأبصار) ولا يكون مثل هذا أبدًا إلا في ضرورة»[2].

ويُتبين من هذا أن لخروج الفرزدق عن القياس، ضرورة شعرية تشذُّ عن القاعدة؛ إنما خروج لغاية في نفس الشاعر؛ فربما قصد الفرزدق إذا ما رأى الرجال «يزيد» يصبحون في حالةٍ من الذلَّة والخنوع، أو كما عبَّر هو عنهم بقوله: «خضع الرقاب نواكس الأبصار»، وهي حال من الأحوال التي تعتري النساء، حين يصبن بالهيبة عند رؤية رجال مثل «يزيد»[3].

لا ننسى أن ما يقع من اختيار المتكلم؛ إنما هو أمر متعلق بالدلالات النفسية، والأبعاد المعنوية التي تعنى بها الدراسات النفسية المتعمقة لعلم النفس اللغوي، فأهمية الوعي بإدراك هذه الاستعمالات اللغوية أمر غاية في الأهمية في انتقاءات الشاعر؛ كي يعالج المنجز بما يستحق؛ فمثلًا هناك من يخطّئ كلمة: «أتساءل» إذا ما جاء الخطاب بهذا الفعل منفردًا على القائل؛ لأنها صيغة تظهر التفاعل الحواري بين شخصين أو أكثر؛ مع العلم أن الفاعل واحد فقط؛ لذا يجزمون بالتخطئة لتنتهي لديهم المسألة عند هذا الحد، وفي الحقيقة

1- ابن الحاجب، جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر، مجموعة الشافية في علمي التصريف والخط، ضبطها محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014، ج1، ص 528

2- المرجع نفسه

3- علام، عبد الواحد، قضايا ومواقف في التراث البلاغي، دار مكتبة الشباب، القاهرة، 1979، ص 35، 36

غاب عن بالهم بأن التساؤل قد يقع في الصراع الداخلي للفرد، والاضطراب النفسي المتعدد بين المتحدث ونفسه[1].

يهتم اللغويون من منظور النحو في أنماط نسج الألفاظ العربية، حسب المنطوق عند العرب، للكشف عن العلاقة بين أشكال النظم التركيبية، وصور المعاني وتوضيح مقاصد الكلام وأغراض المتكلمين فيه، ويحدث هذا التفسير في ضوء قوانين لغوية ضابطة؛ فبالتأمل في تلك الأنماط؛ نرى مدى ترابط عناصر التركيب، وانسجامها للوصول إلى معانيها، ولا نستطيع تفسير مقصود الكلام إلا بالتحليل أو التفسير النحوي، متضمنًا التركيز على المعنى الوظيفي في النحو العربي؛ فيأتي هذا التحليل ظنيًّا غير ثابت بعض الأحيان، نتيجة الاحتمالات في تفسيراته، وتختلف التحليلات النحوية لتركيب واحد؛ نظرًا لاختلاف فهم النحاة للموقف الخطابي له، ومن ثَم فإن هذا الاختلاف يؤثر في تفسير مقصود الكلام، واختلاف فهم سياق الحال يجعل من التفسير للمقصود مختلفًا[2].

ولكي يتصف النص بكتلة مترابطة لا تنفك عن بعضها بعضًا؛ يجب أن تتفاعل الأدوات النحوية التركيبية، وتشكل العلاقات النحوية بين المفردات والجمل؛ ترابطا مطردًا مع أساليب الإحالات بين الألفاظ والجمل المتنوعة، وهي ما يحقق الاتساق بين جمل النص ومعانيه، بحيث يصبح النص متماسكًا تماسكًا شديدًا بين أجزائه، فيبدو النص قطعة واحدة متناسقة يصعب تفكيكها، كما لا تستقيم نصية النص إلا بالانسجام الموجود في سياقات الكلام، وعليه يضمن البعد التأويلي والتقديري تقريب المسافة بين النص ومؤلفه ومتلقيه[3].

إن كل ما يحتويه ذهن الشاعر من بواعث تتفاعل مع بالبيئة الخارجية، وترتبط بقواعد النحو وتراكيبه منطلقة من فكرة الشاعر وغرضه، وقد يتفاعل المتلقي المستقبل للنصوص الشعرية بأهداف تتوافق مع الشاعر، وقد لا تتوافق كما بيَّن جان ميشال آدم، ويصبح هذا النص لدى المتلقي نصًّا آخر عند التلقي، ومن هنا تتنوع الإرهاصات الذهنية

1- العجلان، سامي، مقالة «هل العقلية النحوية نافية للخيال الإبداعي»، السبت 06 فبراير:2012http //www. al-jazirah. com/2016/20160206/cu6. htm

2- عبد السلام، أحمد شيخ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ع 20، الإمارات، 2001، بحث تفسير مقصود المتكلم في التحليل النحوي، ص304، 305

3- بوهادي، عابد، أثر النحو في تماسك النص، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد 40، العدد 1، 2013، ص56، 57

في مساحة من المعارف، والمعتقدات المشتركة بين المؤلف والمتلقي وعمادها الترابط والانسجام[1].

وتؤثر أيضا الوقائع والظروف والعاطفة في نشأة النص؛ فيتوسع ويجاوز المتعارف عليه بأنماط أخرى؛ وإنما القصد في تجاوزه بالتوسع إلى صور جديدة مبتكرة بالزيادة والتوليد، وهذا عنيناه سابقا أنه ليس في الانتحاء فقدان الشخصية وطمسها، أو غلقها على الموروث الأدبي وحسب، بل هي انطلاقة من وعي الملقي المبدع بدقة انتقائه لمحتواه للبنى التركيبية المبتكرة؛ وقد تكون اللغة الإبداعية ليست فقط في تمثل المحفوظ وإنما تؤثر أيضا في الوقائع والظروف والعاطفة في بواعث نشأة نص بعينه؛ وخير مثال على هذه الفكرة رثاء «متمم بن النويرة» أخاه «مالكًا» بأبيات غاية في الجمال والتأثير، كانت ركيزتها جملة النواة، التي كانت باعثًا أساسيًّا لولادة وانسياب النص الشعري متماسكًا ومنسجمًا مع السياقات المختلفة التي بعثته، ولامه رفيقه على بكائه لأخيه «مالك»؛ عندما بكى لرؤيته قبرًا في العراق ليس قبر أخيه؛ فقال[2]:

لقد لامني عند القبور على البكا ... رفيقي لتذراف الدموع السوافك

فقال: أتبكي كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى والدكادك؟

أمن أجل قبر بالملا أنت نائح ... على كل قبر أو على كل هالك

فقلت له: إن الشجا يبعث الشجا ... فدعني، «فهذا كله قبر مالك»

يكرر متمم كلمة (قبر) أربع مرات، وهي مجردة ونكرة على هيئة المفرد؛ ثم يجمع كل تلك القبور التي رآها وبكاها في ذات اللفظة المفردة، ولكن مع تعريفها بشخص معين، ثم يجمعها كلها في النهاية في قبر واحد وهو قبر أخيه مالك، وتعدُّ هذه الجملة هي التركيبة النواة التي تعود إليها بواعث هذا النص، ومن المعروف أن (كل) إذا أضيفت إلى شيء أخذت نفس المعنى الذي أضيفت إليه، وهنا (كل) أضيفت إلى هاء الغائب المذكر الذي يرجع إلى اسم الإشارة (هذا) المشير إلى جميع ما رآه من قبور، فتصبح (كل) في معناها تؤكد معنى ما يروم إليه الشاعر، وتومئ إلى معنى اسم الإشارة؛ الذي يعرب بدلًا عن

1- بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، لبنان ناشرون، الشركة العالمية المصرية لونجمان، 1997، ص 122

2- القالي، اسماعيل أبوعلي القاسم، كتاب الأمالي، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية، ج2، ص1

جميع القبور التي تضمنتها الأرض، وهنا تتجلى مخيلة هذا الحزين؛ بأن يتصور كل القبور مجتمعة هي (قبر مالك) في صورة مجازية متجانسة، وفكرة خلَّاقة غير مألوفة لم تأتِ على لسان المنطوق المتوارث، وبرزت تلك الدلالات من خلال اختيار الشاعر للتراكيب النحوية المناسبة للمعاني.

لذا فإن المعنى يلتحم التحامًا شديدًا بما ينتقيه الشاعر من مفردات، وما يربط بينهما من أدوات، وما ينتج عنها من التركيبات اللغوية؛ فكان الإعراب دليلَ المعنى، والمعنى موجِّه للإعراب، ونقصد بالمعنى؛ هو المعنى النحوي الوظيفي للتراكيب؛ فالعلامة الإعرابية رمز المستمع إلى فهم المعنى الوظيفي، كما ينتقيه المتكلم من المعاني الوظيفية لمكونات التركيب، فالمعنى هنا إذا يسبق الإعراب عند المتكلم، والإعراب يسبق المعنى عند السامع وقد يرافقه.

وكثيرًا ما نبَّه النحاة الأوائل على العناصر الكاشفة عن المعنى النحوي في متون كتبهم، وعوَّلوا على دراسة الكلام في المجال الذي يستقر فيه، ومعرفة حال المتكلم في أثناء ذلك والبواعث المنتجة لهذا النص؛ نظرًا للقيمة العظيمة لهذه الحال في توضيح معاني مجمل النصوص الواردة لنا أو المسموعة، بل قد يستنبط المفسِّر معانيَ متنوعة من التراكيب طبقًا لتنوع عناصر السياق ومواقفه، فمثلًا نلاحظ أن اللغويين يختلفون في إعراب الجملة حسب الموقف؛ فيجعلها البعض تقريرًا والآخر يصرُّ على كونها استفهامًا حذفت أداته أو استفهامًا أريد به الإنكار والتهكم، ومن هنا جاءت أهمية حال المتكلم في الاتفاق وإزالة الخلاف واللبس، ومن ذلك: إعراب جملة «وذو الشيب يلعب»، في بيت[1]:

طربت وما شوقًا إلى البيض أطرب ولا لعبًا مني «وذو الشيب يلعب»

فيعطي المعنى تقريرًا عن إمكان حدوث اللعب من الشيب، أو يُنفي جواز حدوث هذا اللعب، فهي جملة استفهامية إنكارية؛ فغياب معرفة سياق حال الشاعر حين الإنشاد، أوقع اختلافًا في تحليل وتفسير المعنى لهذه الجملة؛ لذا فإن المعنى النحوي الوظيفي يستعين بأدوات عدة منها: العلامة الإعرابية أو الرتبة أو الأدوات الوظيفية أو نظم التركيب أو غيرها، ولعل الإعراب يكشف المعاني ويميزها بوضوح، ويقف على أغراض المتكلمين، ومن هذا المنطلق ركز الجرجاني على معاني النحو، وعد تكوينها إنجازًا لتفاعل المعنى

1- خورشيد، بكر عبد الله، أثر كلام العرب في التوجيه النحوي للأداة، دراسة في كتب حروف المعاني العامة، المنهل، 2014، ص158

النفسي للمتكلم والتنظيم اللفظي لكلامه، ودلل على أن ترتيب ونظم الكلام، تتبع أرق المعاني وتلاحقها، وإن تنسيقها وترتيبها في الظاهر يوازي ترتيب المعاني في النفس[1].

ويؤكد هذا الجانب الدكتور أحمد عبد العزيز كشك[2]؛ مشيدا بتآزر لغة الشعر مع ضوابط النظام النحوي، متمثلا باختيارات وظائف المفردات في التركيب النحوي لمعان طريفة؛ فيقول:

«إنني حين أقرأ للأَحْوَص: سَلاَمُ اللّهِ يَا مَطَرٌ عَلَيْهَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطَرُ السَّلاَمُ فَإِنْ يَكُنِ الزَّوَاجُ أَحَلَّ أَمْرًا فَإِنَّ زَوَاجَهَا مَطَرًا حَرَامُ فَطَلِّقْهَا فَلَسْتَ لَهَا بِكُفْءٍ وَإِلاَّ يَعْلُ مَفْرِقَكَ الحُسَامُ يعجِبُنِي هذا السلوكُ الاختياريُّ الذي نَوَّنَ مَطَرًا في الشطر الأول؛ والتنوين تَنْكِيرٌ، والشطر الأول يبدو السلام فيه مُوَجَّهًا إلى الحبيبة؛ ومن ثَمَّ فَمَطَرٌ في مَنْطِقَةِ التَّجْهِيلِ والتنكير؛ لكنه حين تَوَجَّهَ إليه بِعَدَمِ السلام في الشطر الثاني كان البناء على الضمِّ؛ لأن التوجُّهَ هنا إلى معروف مقصود؛ فالنحو هنا يتحرك لصالح مراد لغة الشِّعر.»

فالنحو ولغة الشعر وما في نفس الشاعر، ينمّ عن علاقة توافقية حميمة، وليس هناك ما يظهر غير ذلك.

وعندما دوَّن عبد القاهر الجرجاني ملاحظاته كلها حول المعنى؛ فإنه وجد أنّ عملية تحديد المعنى تبدأ من المستوى النفسي على أساس العلاقات النحوية بين المفردات، وإن أي تغيير في المستوى النفسي بالضرورة يتبعه تغيير في التنظيم اللفظي: بإضافة أو حذف أو تقديم أو عدول بين استخدام أزمنة الفعل أو أنواع الضمائر، وهنا يستغل المتكلم أنماط الاحتمالات والأوجه الممكنة في إبداع تراكيب لغوية جديدة، وفي هذا السياق يفترض أن المتكلم لديه من الكفاءة اللغوية ما يمكنه من الانتقاء من بحر معرفته النحوية، وقدرته تلك تجعل المعنى النحوي ينساب لديه دون غيره؛ ليخلق نمطًا يميزه على حين لا يتميز به غيره؛ فغزارة العلم وملكة الحفظ، والاطلاع الواسع، يكسبه الخبرة فتتداعى عليه المعاني، وتنهال التراكيب اللغوية نحوه؛ فتقترن بتلك المعرفة فلا ضرر منها ولا ضرار.

وخلاصة القول فإننا مما سبق؛ نجزم بوجود علاقة تفاعلية بين النظام النحوي وبين لغة الشعر، يتحدد مداها في مميزات تخص منشئ لغة الشعر، والتي منها قدرة الشاعر

1- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تصحيح محمد رشيد رضا، القاهرة، ص 48

2- كشك، أحمد عبد العزيز، النظام النحوي ولغة الإبداع، منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، 2016، http: //www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=15986

على انتقاء تراكيبه النحوية المعبرة عن المعنى، فيوظفها على أساس المعاني المرادة، وأيضا مقاصد الشعراء وبواعثهم النفسية وقدرتهم على التخيل تنتج النص المتفوق، كما إن أساسهم المتين في معرفة نظام اللسان وميزانه، والمخزون التراثي والمعجمي يعد معيارا رئيسا في تميز لغته، وكذلك لا ننسى الناقد الواعي الذي لا يقل علما ومعرفة عن الشاعر، يجب أن يمتلك من الأدوات الفاحصة والمعينة؛ لتقرير الفسح أو الرخص للتأويل والتقدير من أجل إبراز معنى جميل ماتع، وحتى لو أخلّ بالمعيار؛ فهناك مفاتيح تدخل العدول عن الأصل إلى ساحة النظام النحوي، وتلحق الفرع بالأصل، وتحمل الظاهر على المعنى العميق؛ بما يخدم المعنى ويكشف المراد في قراءة النص؛ وإنّ ما يبدو عدولا عن المعايير النحوية -في الأعم الغالب- هو خروج في ظاهره عن أقيسة النحاة العقلية، المنطقية، ونراه بالتدبر ليس خروجًا عن نظام العربية المتماسك؛ فهو من العربية في مستوياتها الإبداعية العالية وواقعها الاستعمالي؛ ولكن علينا بالتروي والتأمل لإدراكه.

وخَلَصْنا أن التوسع في اللغة مطلق، لا حدود له من المعاني والدلالات في القرآن الكريم، بينما التوسع عند الاستعمال البشري يكون في درجات من حيث الإبداعية، حسب استعمال منشئ الكلام، وأن الضرورة هي رخصة تخص الشعراء ولغة الشعر فقط، وقد يكون لها أصلا في اللهجات القديمة أو الشاذة، وفي هذه الحال لا تكون ضرورة، ولا يعني أن من تعامل بها من الشعراء المشهود لهم بالقدرة اللغوية والكفاءة في الفصاحة، أن لديه ضعف في نظام لسانه وكفاءته الأدبية!، ولكنها تعد من المِنح التي تسهل ابتكار المعاني وإظهار المُلح، وتذلل الصعاب أمام مرتادي المعاني الإبداعية والأصيلة، وكان لا يعجزهم أن يأتي التركيب النحوي حسب الأصول المعروفة، ولكنها المغامرة والشجاعة وارتياد المخاطر على حسب ما قال ابن جني.

الخاتمة:

وجدنا بعد التمحيص والتحليل في دراستنا هذه من وجود علاقة توافقية بين الجانبين النظري والتطبيقي؛ فكان التوافق في آراء ورؤى القدماء حول اهتمامهم بالمعنى يعادل اختيارهم للفظ، وتفضيلهم للمعنى على الإعراب، والبحث في أساليب تفوق معاني الألفاظ من خلال المعرفة بالنحو وتراكيبه، كانت كل تلك الدراسات إشارة إلى دعم الشعراء في لغة شعرهم، وإن العلاقة الطردية الناتجة من تفاعل النظام النحوي ولغة الشعر ما هي إلا المعاني النحوية التي وُلدت مع بزوغ علم النحو في تراثنا، وظل النظام النحوي محتضنا لها وراعيا لفاعليته فيها، وتبين أن هذا التوافق بين الجانبين ما هو إلا تآزر الصواب في النظام النحوي الواسع بالاستعمال مع الجمال اللفظي، والتجديد في ابتكار المعاني والأفكار؛ إما بالعدول عن التراكيب الأصلية إلى تراكيب فرعية، أو بإحياء التراث اللغوي والعلم باللغة نحوها، وتصريفها، وأصواتها، ومعانيها المعجمية؛ والبحث والتحليل بأليات كاشفة لهذه المعاني، فكانت اللغة ميدانا خصبا للشعراء، وحاضنة للمعانيهم التي يرومون لها؛ لما عرفت به اللغة العربية من مرونة وقدرة فائقة على اتساع في نظام لسانها وخصوبة معجمها.

النتائج والتوصيات:

- كشفت هذه الدراسة عن وجود علاقة توافقية بين النظام النحوي وفكر النحاة المؤسسين لهذا النظام وبين لغة الشعر، وفاعلية هذا النظام النحوي في إبداعية لغة الشعر وتآزر الصواب مع الجمال من خلال جعل النحو مدخلا في قراءة النص الشعري خاصة.
- وجدنا أن النظام النحوي جزء من الدلالة ويعتمد على مستويات عدة بجانب المستوى التركيبي محل الدراسة، وأن هذه المستويات عبارة عن أنظمة في جهاز النظام النحوي، تتعاضد معا لتخدم المعنى، ويصعب الاجتزاء منها وفصلها عن بعض البعض، فهي تعمل في شبكة واحدة، يدعم كل منها الآخر.
- يسمح النظام النحوي بالتوسع من خلال المشابهة، وحمل الكلام بعضه على بعض، فهي المرونة التي تتحقق بتعاضد النظام النحوي مع لغة الشعر، وهذه المشابهة متداخلة الفروع فنجد في كتب النحو كثرة الإحالات والاستعمالات للغة، يتوسع النظام النحوي فيقوم على مشابهة الأصل بالفرع؛ لأنه نظام مرن قابل للتوسع من أجل المعنى.

- النظام النحوي له جانبان حيويان، يحددان معنى النص الشعري الأول وهو المعنى الوظيفي كالفاعلية والمفعولية والخبرية وغيره؛ أما الجانب الثاني فهو المعنى النحوي الإضافي كمعاني الحروف والأساليب والروابط: كالإسناد وغيرها.

- أن النظام النحوي مبني على أصول محدودة، ثم تتوسع بالاستعمال بحسب المعنى ظاهرا وواضحا؛ كقواعد النحو ونظام الإعراب، وقد يكون خفيا كالعدول في ضوء النظام نفسه.

- إنّ ما يبدو عدولا عن المعايير النحوية -في الأعم الغالب- هو خروج في ظاهره عن قياسات النحاة (العقلية، المنطقية)، ونراه بالتدبر ليس خروجًا عن نظام العربية المتماسك فهو من العربية في مستوياتها الإبداعية العالية وواقعها الاستعمالي.

- وجدنا أن التوسع في اللغة؛ مطلق لا حدود له من المعاني والدلالات في القرآن الكريم، بينما التوسع عند الاستعمال البشري؛ يكون في درجات من حيث الإبداعية حسب استعمال منشئ الكلام.

- إن النظام النحوي يتميز بهيكل قوي بالمعايير التي يحتويها والأحكام التي تتأسس عليها اللغة، ولكنه مرن في آن واحد، فاللغة تتنفس من خلاله وتتوسع بالاستعمال وتنمو بابتكار المعاني والأفكار، وتبين لنا أن الشاعر المبدع، والعالم باللغة يتوحد مع لغته الشعرية المتفوقة بما لديه من قدرات وإمكانات.

- توصي هذه الدراسة إلى دراسة موازية في مستويات اللغة الأخرى، وخصوصا في الجانبين الصرفي والصوتي اللذين يحتلان مكانة مهمة في توجيه المعنى وتفوقه وتأثيره في المتلقي.

- كما توصي إلى دراسة الإبداع في قدرات شخصية المبدع نفسه، لأن لها تأثيرًا قويًا على العمل الإبداعي، وذلك بدمج الخصائص الشخصية والقدرة اللغوية لدى الشاعر التي يسهل اكتشافها من قراءة المنجز اللغوي وتحليلها في أربعة محاور وهي:

الطلاقة، والأصالة، والتفاصيل، والمرونة.

هذه الأربع مهارات إذا ما تواجدت في منتج شعري، يوسم الشاعر بوسم الإبداعية وهي:

- الطلاقة في المخزون اللفظي عند الشاعر بدليل لغته المستعملة والمكتسبة والمخزونة.

- المرونة وهو التوسع في استخدامات معاني مفردات اللغة، وتنوع العلاقات بينها في معجمها، ومعاني النحو في تركيباتها اللغوية، والتنوع في استخدام الأساليب اللغوية.

- التفاصيل كثرة الأوصاف والجزئيات والفروع والاعتراضات والإضافات والاستغراق فيها.

- الأصالة في فكرة القصيدة، ولعل هذه الصفة تشير إلى ارتقاء الشعر عن غيره من الأشعار؛ فالفكرة الأصيلة التي قامت عليها لغة الشعر؛ سواء من خلال اللفظة الفريدة غير المألوفة والمبتكرة، أو الخيال في الصور الشعرية التي لم تأت تقليدا لمن قبله؛ وتحيل بدورها إلى وصف النص الشعري بالمتميز والمتفوق.

- إن دراسة تقوم على البحث في القراءات المختلفة لنص بعينه لنقاد وأدباء ومحللين لغويين مختلفين معاصرين أو قدماء، فهي ستقدم للباحث مقارنات بينها وتظهر معاني عميقة غير ظاهرة على السطح، وتجيب على تساؤلاتهم وتوسع مداركهم، فتبحث هذه الدراسة في تأويلات وقراءات وآراء النقاد مما يثري اللغة ويجعلها في نمو مستمر، ويمكّن المتلقي من إيجاد ضالته من القصد وراء تلك التركيبات اللغوية، لأن الاختلافات في قراءة نص بعينه تدل على عمق الفكرة في المعاني المقصودة وغير المقصودة لدى الشعراء، وتشير إلى تفوق لغة القصيدة وعلو همة مؤلفها، وقد تنبثق منها دراسات لغوية جديدة، وتفتح على الدارسين والباحثين أفكارا جديدة، وتساؤلات تصب في دراساتهم.

المراجع والمصادر

- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.
- ابن الحاجب، جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر، مجموعة الشافية في علمي التصريف والخط، ضبطها محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014.
- ابن جني، عثمان، المنصف في شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، ط1، 1954، وزارة المعارف.
- ابن جني، عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1952.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط 2001.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2010.
- أبو الحسن القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه.
- أحمد، شيخ عبد السلام، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ع 20، الإمارات، 2001، بحث تفسير مقصود المتكلم في التحليل النحوي.
- بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، لبنان ناشرون، الشركة العالمية المصرية لونجمان، 1997.
- بومزبر، الطاهر، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية جاكبسون، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2007.
- بوهادي، عابد، أثر النحو في تماسك النص، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد 40، العدد1، 2013.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق وشرح: عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ط1، 1969.

- الجرجاني، علي بن عبد العزيز القاضي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، دار الكتب الوطنية، عيون النثر العربي القديم، أبو ظبي، 2016.
- حمادي، صمود، المجلة العربية، النقد وقراءة التراث عود على مسألة النظم للثقافة، 1993.
- حماسة، محمد عبد اللطيف، اللغة وبناء الشعر ط1، القاهرة، 1992.
- حمودة، د. طاهر سليمان، جلال الدّين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدّرس اللغوي، الناشر المكتب الاسلامي، بيروت، ط1 1989.
- الخطيب، محمد عبد الفتاح، ضوابط الفكر النحوي، تقديم عبده الراجحي، ج1، 2006، دار البصائر للنشر- القاهرة.
- خورشيد، بكر عبد الله، أثر كلام العرب في التوجيه النحوي للأداة، دراسة في كتب حروف المعاني العامة، المنهل، 2014.
- الخولي، محمد علي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح للنشر، الأردن، ط 1999.
- الراجحي، عبده علي ابراهيم، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة، بيروت، 1979.
- الرازي، أبي الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، باب النون والهاء وما يثلثهما.
- الرازي، أبي الحسين أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تح السيد أحمد صقر، ط 1975، الناشر الحلبي.
- السراج، أبوبكر محمد بن السهل، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة.
- عبد الرحمن، الحاج صالح، ضمن بحوث كتاب: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، وقائع ندوة، الرباط، 1987، ص374، كراسات المركز سلسلة يصرها المركز التقني لتطوير اللغة العربية الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، الجزائر، العدد 4، 2007.

- عبد الرحمن، د. طه، تحديد المنهج في تقويم التراث، مبحث التداخل المعرفي الداخلي وتكامل التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1993.
- العجلان، سامي، مقالة «هل العقلية النحوية نافية للخيال الإبداعي»، 2012http: // www. al-jazirah. com/2016/20160206/cu6. htm.
- العقاد، عباس محمود، اللغة الشاعرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012 - مصر.
- علام، عبد الواحد، قضايا ومواقف في التراث البلاغي، دار مكتبة الشباب، القاهرة، 1979.
- العلوي، المظفر بن فضل، نضرة الإغريض في نصرة القريض، تحقيق نهى عارف الحسن، دار صادر، بيروت، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1976.
- عمايرة، خليل أحمد، كتاب المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، دار وائل للنشر والتوزيع- عمّان، ط1، 2004.
- العوضي، زكي علي وطافش، رائد فريد، سلطة النحو وإبداعية الاستعمال، الحذف عند المتنبي نموذجا، مجلة الجامعة الاسكندينافية المحكمة في العلوم الإنسانية والأساسية والتطبيقية، العدد 3، 2010.
- الفارابي، أبي نصر محمد، المنطق عند الفارابي، المحقق رفيق العجم، ط 1985، دار المشرق - بيروت.
- القالي، اسماعيل أبوعلي القاسم، كتاب الأمالي، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية، 1906.
- القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب أبو خوجة، الناشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1986.
- كشك، أحمد عبد العزيز، النظام النحوي ولغة الإبداع، منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، 2016، http: //www.m-a-arabia.com/vb/showthread. php?t=15986

- مجذوب، عز الدين، المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، ط1، تونس، 1998.
- مرعشلي، نديم وأسامة، الصحاح في اللغة والعلوم: تصنيف وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية، تقديم: عبد الله العلايلي، الناشر الحضارة العربية، ط 1، بيروت.
- ناصيف، مصطفى، دراسة الأدب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 2013.
- النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط2، دار المعارف، القاهرة.
- ياكبسون، رومان، قضايا الشعرية، المحقق: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، 1988.

فهرس الموضوعات

م	اسم الباحث	عنوان البحث	الصفحة
1	د. فدوى تاوريريت أ. أمينة هلال	تداوليّة الخطاب الشّعري قراءة في تحوّلات مقاصد الشّعر العربيّ المعاصر	5
2	لبنى علي المفتاحي	مناهج الحداثة وما بعدها ومقاربة النص التراثي العربيّ	31
3	د. عبد الحميد إدريس الراقي	قضايا النّصّ عند الأصوليّين.. رصد لآليات الاشتغال	51
4	د. مريم عطية بوزيان	المنهج الأصولي والنظريات اللسانية قراءة في السّبق والضّبط	73
5	د. سليمان عبد القادر جبار	موارد تَشَكُّلِ النص القرآني في الدراسات الحداثية والاستشراقية	101
6	د. محمد أمجد رازق بن محمد رازق	علاقة التراث الإسلامي بمناهج البحث العلمي المعاصر -كتب الحديث النبوي وعلومه أنموذجا-	141
7	أ. د. الرشيد بوشعير	البنية البوليفونية في رواية «الديوان الإسبرطي» لعبد الوهاب عيساوي	167
8	د. خالد أحمد	قراءة نقدية من خلال نظريات ما بعد الحداثة للنص المسرحي تنصيص للكاتب فهد ردة الحارثي	181
9	د. لطيفة محمد الفارسي	شخصيات النصّ السرديّ في بنية القصص النبويّ. من القراءة المورفولوجية إلى القراءة الإحالية	229
10	أ. د. محمد عبد الحي	قراءة النص الأدبي بين التراث والمعاصرة	257
11	د. مونية مكرسي	قراءة النص اللغوي بين التراث والمعاصرة «مقاربة تأويلية في قصيدة وصف الحمى للمتنبي»	295
12	د. يونس إبراهيم أحمد العِزّي	الشعر الصوفي والتأويل أقنعة النص ومغامرة المنهج (مقاربة نظرية)	331
13	د محمد عبد الحليم أبو عرب	خطاب النبي في القرآن دراسة تداولية	371
14	د. فتيحة دوار	جُهود مالكية الغرب الإسلامي في خدمة النّص القرآني من خلال التفسير الفقهي للقرآن الكريم	401
15	د. مريم محمد بن خاتم الشامسي	نحو مفهوم جديد للقراءة البيداغوجية	437
16	د. أحمد محمد نجيب د. مجاهد جمال الحوت	التحليل اللغوي لألفاظ القرآن الكريم بين التراث والمعاصرة الزمخشري وابن عاشور أنموذجًا	455
17	محمد بن حسين الأنصاري	عُرْف النَّص التراثي رؤية منهجية من منظور التكامل في الدراسات البينية	489

18	أ. د. أحمد عبد الرحيم أحمد فراج	موقف اللغويين من العناصر غير اللغوية في التحليل النصي	535
19	عزيز محمد أوسو	البلاغة العامة وتحليل النصوص الأدبية سؤال في البنية المصطلحية	561
20	أ. آمنة مصبح القايدي	أَعْجُوبَةُ النَّصّ عِنْدَ عَبْدِ القَاهِرِ الجُرْجَانِيّ (دَلَائِلُ الإِعْجَازِ أُنْمُوذَجًا)	589
21	أ. شيخة عبدالله الزعابي	الشاهد النحوي في معجم مقاييس اللغة لابن فارس	605
22	د. حسين عمر دراوشة	قراءة النص اللغوي تداوليًا بين التراث والمعاصرة في الدراسات العربية نقد وتوجيه	637
أبحاث سمينار الوصل			659
23	ابتسام هائل غيلان المذحجي	الآثار الجانبية للدواء في مرحلة التجارب على الإنسان دراسة فقهية	661
24	أ. تيمور سعيد أحمد شحي	تحقيق مخطوط في التراث الإسلامي موسوم بـ: يتيمة الدهر في فتاوى أهل العصر	675
25	أ. إسماعيل محمد حسن	اختيارات الرُّوْيَانِيّ (ت502هـ) في العبادات من كتابه حِلْية المؤمن: دراسة فقهية مقارنة	683
26	أ. محمد عطا الله فهد الثوابيّة	الأبعاد الفكريّة والتعليميّة في المثال النّحوي دراسة تداوليّة	689
27	أ. محمد حسين بصمه جي	التجريب في الرواية العربية	727
28	أ. سمية أحمد سالم السويدي	علاقة النظام النحوي بلغة الشعر المتنبي نموذجًا	739

شارع زعبيل – دبي – الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 97143961777+، فاكس: 97143961314+، ص. ب: 50106
البريد الإلكتروني: info@alwasl.ac.ae
موقع الجامعة: www.alwasl.ac.ae